قصص خلّدها التاريخ

جمع و ترتيب

هشام بن عبدالله الدوسري

قَصَصٌ

خَلَّدَهَا التَّارِيخُ

جمع وترتيب:

هشام بن عبدالله الدوسري

ⓒ هشام عبدالله الدوسري، ١٤٤٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الدوسري، هشام عبدالله

قصص خلدها التاريخ. / هشام عبدالله الدوسري

- ط١. .- الدمام، ١٤٤٦هـ

١٢٣ ص ؛ ١٧* ٢٥ سم

ردمك: ٧-٧٦٦٤-٠٥-٦٠٣-٩٧٨

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٢٠٠٤١

ردمك: ٥-٧٦٦٤-٠٥-٦٠٣-٩٧٨

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي أنزل الكتاب بالحق، وجعله نورًا يهدي به من اتبع رضوانه سبل السلام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي أرسله الله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وعلى آله وصحبه الذين نقلوا إلينا سيرته العطرة وتاريخ أمته المجيدة.

أما بعد:

فإن التاريخ هو ذاكرة الأمم، وسجل عبره تتجلى حكمة الله في خلقه، وتُستلهم العبر من سير الأولين. وهذا الكتاب "قصص خلدها التاريخ" يأخذك في رحلة عبر الزمن، من بداية الخليقة مع قصة آدم عليه السلام، إلى ختام النبوة بوفاة الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اعتمدت في جمع هذه القصص على مصادر موثوقة من كتب التفسير كـ"تفسير ابن كثير" و"الجامع لأحكام القرآن للقرطبي"، وكتب التاريخ المعتمدة مثل سيرة ابن هشام تاريخ الأمم والملوك للطبري، وكذلك الكتب الصحاح كصحيح البخاري ومسلم وابن حبان ومسند الإمام أحمد رحمهم الله وغيرها من المراجع التي تحرَّت الدقة في سرد الأحداث، وربطها بالعبر والعظات.

ستجد في هذا الكتاب :

* قصة الخلق ومعركة الشيطان مع آدم في الجنة.
* سير بعض الأنبياء من آدم عليه السلام ، وصبرهم في دعوة أقوامهم.
* أحداث الجاهلية التي مهَّدت لبعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
* السيرة النبوية مع بعض تفاصيلها العظيمة، من الميلاد إلى الوفاة.

لقد كُتب هذا الكتاب ليس ليسرد بعض أحداث التاريخ فحسب، بل ليكون مرآة نرى من خلالها أنفسنا، ونستلهم منها الدروس في الإيمان والصبر والثبات على الحق.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به من قرأه أو ساهم في نشره، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

نسأل الله القبول والتوفيق

ظفرت به إنه لا يتمالك

التاريخ، وما أدراك ما التاريخ! التاريخ يتكون من أحداث وقصص، وبطبع الإنسان يحب القصص، سواء كانت هذه القصص حقيقية أم خيالية.

وسوف تكون لنا -بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ- في الصفحات القادمة سلسلة من القصص، وسوف تُرتَّب على حسب الأحداث، ولن نأتي إلا بالقصص الحقيقية الموثقة.

وفي هذه الصفحة نبتدأُ بأولها، وهي من أهم القصص والأحداث التي مرت على بني آدم، بل قبل ذلك في الجنة، في وجود الملائكة وإبليس.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عندما صور آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الجنة تركه ما شاء أن يتركه، وكان إبليس يطوف حول هذا الجسم (صورة آدم) وينظر إليه، فلما عرف أنه أجوف، قال: «**ظَفِرْتُ بِهِ، إِنَّهُ أَجْوَفُ لا يَتَمَالَك**»(١).

والأجوف: ممكن أن يُملأ، فيملأه بالشهوات، فكانت هذِه أول بداية عداوة إبليس لآدم.

بعدها أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الملائكة أن تسجد لآدم، ومن ضمنهم إبليس، فقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الإسراء].

---

(١) صحيح مسلم: (٢٦١١).

والاحتناك، قَالَ بعض المفسرين: من احتناك الجراد، إِذَا أتت على الأرض والعشب فتركته لا شيء، هباءً منثورًا.

وقال البعض من المفسرين: الاحتناك أي من احتناك الدابة، إِذَا وُضع اللجام في فمها فتُجرجر، ويريد إبليس أن يجعل من بني آدم مثل الدابة، يقودها قودًا.

ثُمَّ قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في سورة الحِجر، بعد ذلك عندما رفض إبليس السجود: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٣٥﴾ [سورة الحجر]، فكانت العداوة من إبليس لآدم وذريته إلى يوم القيامة.

انتبهوا! إبليس يريد أن يجعلكم دواب يقودهم في كل مكان، فلا تكن دابة لإبليس.

خروج آدم وحواء من الجنة

بعد طرد إبليس من الجنة ومن رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هنا قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لآدم: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٣٥].

هنا ازدادت عداوة إبليس لآدم ولزوجه حواء، وجعل يبحث عن طريقة لإيقاع آدم في معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثُمَّ في غضب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثُمَّ الإخراج من الجَنَّة، فوجد إبليس أن أفضل طريقة لذلك هي دغدغة الغرائز، وَهٰذَا ما يفعله الآن شياطين الإنس في هٰذَا الزمن.

اسمعوا مَاذَا قَالَ إبليس لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [سورة طه: ١٢٠].

لاحظتم؟ أتاه من غريزة حب الخلود والبقاء، وغريزة حب المُلك، هنا وقع آدم وحواء في حبائل الشيطان، فأكلا منها، أرادا الخلود، وأرادا الملك.

آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وحواء لم يقعا هكذا، وإنما كان بسبب قَسَم إبليس لآدم ولحواء، آدم لم يتوقع أن هناك من يقسم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كذبًا، ولم يتوقع أن هناك ناصح كذّاب: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٢١].

بهذا القسم صدّق آدم إبليس، ووقع في هٰذِه المعصية، وكان إبليس سببًا لطرد آدم وزوجه من الجَنَّة، وَهٰذَا قدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فقد قدر ذلك على آدم قبل أن يخلقه بأربعين سنة.

هنا أدرك آدم وحواء أنهما وقعا في حبائل الشيطان، والمؤدية إِلَىٰ المعصية وَإِلَىٰ غضب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكن تداركا ذلك بالتوبة: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأعراف].

هكذا كان إبليس سبب لإخراج أبينا وأمنا من الجنة، وهو سبب لإدخال كثير من البشر إِلَىٰ النَّار، فيجب أن نجعل إبليس وأعوانه من الإنس والجن نصب أعيننا، ونستعيذ منهم.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يُعيذنا وإياكم من حبائل الشياطين وأعوانهم من الإنس والجن.

أول جريمة قتل

بعد إخراج آدم وحواء من الجنة ونزولهما إِلَىٰ الأرض، ولدت حواء لآدم عدة بطون.

وقبل أن نبدأ القصة، **يجب أن نتفق علىٰ عدة أمور**:

⇦ **الأمر اَلْأَوَّلُ**: عدد البطون لم يثبت لا في كتاب ولا سنة.

⇦ **الأمر الْثَّانِي**: نزول آدم وحواء سواء في الهند أو مكة أو عرفات، كذلك لم يثبت لا في كتاب ولا سنة.

⇦ **كذلك**: أسماء أولاد آدم مثل قابيل وهابيل، لم تثبت لا في كتاب ولا سنة، وَإِنَّمَا هي أخبار بني إسرائيل.

عندما ولدت حواء عدة بطون، قَالَ البعض: عشرون بطنًا، وقال البعض: مئة وعشرون، ولتكاثر النسل البشري كان يتزوج ذكر البطن الأول بأنثى البطن الثاني، وذكر البطن الثاني بأنثى البطن الأول، ثُمَّ نُسخ ذلك.

بعد فترة من الزمن حصل خلاف بين أخوين، ونذكر الأسماء من باب الاستئناس: قابيل وهابيل، أنهم قربا قربانًا، فتُقبل من أحدهما، ولم يُتقبل من الآخر.

القصة سوف نذكرها من مصدر لا يقبل الخطأ أبدًا، ألا وهو كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – ولم ترد قصة قابيل وهابيل في السُّنَّة أبدًا، إِلَّا في موطن واحد في سورة المائدة؛ وسوف نذكر ذلك في نهاية هذه القصة.

حصل خلاف بين الأخوين: أنهما قدما قربانًا، فتُقبل من هابيل ولم يُتقبل من قابيل، فحقد قابيل عَلَىٰ هابيل واشتد به الحسد، وسوس له الشيطان في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [سورة المائدة: ٢٧].

هابيل صُدم، كيف لأخيه أن يُفكّر في قتله؟! فأراد أن ينصحه ويرشده إِلَىٰ الصواب، فَقَالَ له: "يا قابيل، إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتقبل من المتقين، فاترك ما أنت به واتقِ الله يتقبّل منك قربانك وهداياتك"، ولكن الحسد والحقد أعميا قلب قابيل، فأصرّ عَلَىٰ القتل.

فانتقل هابيل إِلَىٰ النصيحة الثَّانِية وقال: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ [سورة المائدة: ٢٨]، ذكّره بالأخوّة والنسب، وأن هذا الأمر لا يحدث بين الإخوان، خاصة أن القتل جريمة شنيعة، لكن قابيل أصرّ عَلَىٰ ذلك، أعماه الحسد.

هنا انتقل هابيل إِلَىٰ النصيحة الثَّالِثة: فذكّره بالآخرة وبالإثم وبالنار، فقَالَ: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٩]، يا قابيل، إذا فعلت هذه الفعلة الشنيعة فسوف تتحمل إثم قتلي وآثامك الَّتِي ارتكبتها، وتكون من أصحاب النار.

ولكن قابيل لم يستمع لهذِه النصائح: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة المائدة: ٣٠].

قابيل يقتل أخاه ومع ذلك لم يتأثر قلبه، وترك جثة أخيه مطروحة عَلَىٰ الأرض، معرض لنهش السباع والوحوش، قسوة قلب بسبب الحسد والحقد، لكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا ينسى عباده الصالحين المتقين أبدًا، فبعث غرابًا يبحث في الأرض ويحفر حَتَّىٰ يواري هذه الجثة.

وقف قابيل يشاهد الغراب يحفر ويواري جثة أخيه هابيل، فقال في حسرة: ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [سورة المائدة: ٣١]، ندم، لكن لم يُثبت أنه تاب.

كل شخص يُقدِم على فعل خاطئ يندم، ولكن الندم وحده لا يكفي، بل يحتاج إِلَىٰ توبة، وكل شخص يسنّ سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، ولهذا كل قاتل كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتحمل وزره أول قاتل في البشرية، وهو قابيل.

نعم هٰذَا هو الحسد والحقد، كم من أخ قتل أخاه بسبب الحسد؟! كم من صديق قتل صديقه بسبب الحسد؟! كم من قريب قتل قريبه بسبب الحسد؟! نسأل الله الثبات عَلَىٰ الحق.

سفينة النجاة

بعد نزول آدم وحواء إِلَىٰ الأرض، وانتشار ذريته في هٰذِه الأرض، وكانوا عَلَىٰ التوحيد، فاجتالتهم الشياطين وأشركوا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فبعث الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبيّه نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان بينه وبين آدم عشرة قرون[1]، فلبث نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في قومه ألف سنة إِلَّا خمسين عامًا يدعوهم إِلَىٰ التوحيد، فلم يزدهم ذلك إِلَّا إصرارًا عَلَىٰ الكفر وعبادة الأصنام، وبعنادهم أصبحوا يتواصون ألا يذروا عبادة تلك الأصنام: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [سورة نوح: ٢٣].

فلما استنفذ نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جميع وسائل الدعوة ليلًا ونهارًا، سرًّا وعلانية: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُواْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾ [سورة نوح].

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٦٤-٦٩).

فلما أوحى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ نوح أنه لن يؤمن من قومه إِلَّا من قد آمن، ولا يبتئس بما كانوا يفعلون، هنا قَالَ نوح: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة نوح].

﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ أي يمشي ويدور على وجه الأرض.

هنا أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يصنع السفينة، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [سورة هود: ٣٧].

فبدأ نوح بصنع السفينة: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [سورة هود: ٣٨].

حَتَّىٰ إذا جاء الأمر المحتوم وإيقاع العقوبة عَلَىٰ الظالمين، قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [سورة هود: ٤٠].

في هٰذِه اللحظات ينادي نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في المؤمنين، ويأمرهم بركوب السفينة: ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾ [سورة هود].

هنا يرى نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ابنه الكافر، فتأخذه عاطفة الأبوة، فَقَالَ: ﴿ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة هود: ٤٢].

فرد عليه ذلك الابن العاق: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴾، فرد عليه نوح: ﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ﴾، ثم بعد ذلك: ﴿ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴾ [سورة هود: ٤٣].

فانطلقت السفينة وعليها ثلة من المؤمنين، ووقع العقاب عَلَىٰ الكافرين.

وبعد أن أنجى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ المؤمنين وأهلك الظالمين، هنا أمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الأرض أن تبلع الماء، وأمر السماء أن تقلع: ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة هود: ٤٤].

هنا يأمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ نوحًا بأن ينزل من السفينة هو ومن معه من المؤمنين بأمن وسلام وبركة من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، هكذا أنجى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ نوحًا ومن معه من المؤمنين، وأهلك الكافرين.

جريمة لم يسبقهم بها أحد

ومن القصص الَّتِي خلدها التاريخ: تلك الجريمة الأخلاقية الَّتِي لم يسبق بها أحد من العالمين؛ إنها جريمة قوم لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، عندما أرسل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لوطًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إليهم لينذرهم عذابًا أليمًا، ولكن لم يطيعوه وكذبوه: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٦٠ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٦١ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٦٢ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٦٣﴾ [سورة الشعراء].

خاطب لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قومه بأرق العبارات: ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين، لا أريد منكم أجرًا، إن أجري إِلَّا عَلَىٰ رب العالمين، يريد أن يعود بهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكن العناد.

فقالوا: يا لوط، أفصح، ماذا تريد؟ هنا أفصح لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وذكر ما يريد: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝٨١﴾ [سورة الأعراف].

لوط نوّع طريقة دعوته لقومه، ولكن قومه يحبون الجدال، كلما دعاهم قالوا: يا لوط ماذا تريد؟ ويأتي مرة أخرى فيقولون: يا لوط ما وراءك؟ أفصح يا لوط، ما الَّذِي تريده يا لوط؟ وهكذا لمجرد الجدال، وهم يعلمون مَاذَا كان يريد لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [سورة النمل: ٥٤]، يا قوم! أتفعلون هٰذِه الفاحشة المنكرة وبعضكم ينظر إِلَىٰ بعض؟ أأنتم رجال؟ كان بعضهم ينظر

إلى بعض وهم يمارسون تلك الفاحشة بلا حياء ولا خجل، بل عمّموا هذَا الأمر بينهم، ويمنعون أي شخص يُنكر هذَا المنكر.

ثُمَّ ذكَّرهم لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالحلال الَّذِي خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهم، فقال: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [سورة الشعراء].

لم تكن تلك الفاحشة جريمتهم الوحيدة، بل هم أهل شر مستطير، كانوا يقطعون السبيل، ويخطفون الرجال والصبيان لفعل الفاحشة بهم، بل ويأتون في ناديهم المنكر، ويفعلون تلك الفاحشة جهارًا نهارًا مع بعض.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٩].

لم ينتهِ القوم، ولم ينتصحوا بنصيحة لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولم يقتنعوا بذلك، بل رأوا أن لوطًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أصبح سدًا منيعًا ضد مشاريعهم الشاذة، فقالوا: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [سورة الشعراء].

هنا اتخذ قوم لوط قرارهم النهائي بإخراج آل لوط من قريتهم: ﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة النمل].

لم يرعووا ولم يخافوا من العذاب الأليم، ولا من تهديد لوط لهم بالعذاب إن بقوا على هذه الجريمة، بل كان عذرهم القبيح: أنهم أناس يتطهرون.

أصبح المنكر معروفًا، والمعروف منكرًا، فقالوا وقاموا وأمروا بإخراج قوم لوط؛ لأنهم أناس يتطهرون، أي قوم لوط، قال لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة العنكبوت].

لقد بذل لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كل جهده لإنقاذ قومه من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكن ران عَلَىٰ قلوبهم ما كانوا يعملون.

هنا أرسل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ملائكته إِلَىٰ لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والخيار في يد قوم لوط، إما التوبة والانتصاح وطيّ صفحة الماضي، وإما العذاب والدمار، هكذا هي النهاية: إما خير أو شر.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [سورة هود: ٧٧]، أتى أولئك الملائكة وكانوا عَلَىٰ صورة شباب جميلي الهيئة، فخاف لوط عليهم أن يأتي قومه فيأخذونهم ويفعلون بهم الفاحشة.

خرجت امرأة لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لتُخبر قومها عن أولئك الفتية، فجاءوا يركضون بسرعة حَتَّىٰ يخطفوا أولئك الفتيان من بيت لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ

كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [سورة هود: ٧٨].

اجتمع القوم أمام بيت لوط، وضربوا الأبواب يريدون أولئك الفِتية، فأحس لوط بالضعف وعدم القدرة عَلَىٰ حماية ضيفه، فَقَالَ: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [سورة هود: ٧٨]، أليس فيكم رجل رشيد يفكر ويتقي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟! هكذا ذهب الرشد والعقل من عقول أولئك القوم بسبب هذه الفاحشة العظيمة.

﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [سورة هود: ٧٩]، صراحة، نحن نريد أولئك الفِتية الَّذِينَ معك يا لوط.

هنا ضاقت الدنيا بلوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وفي هذه اللحظات اقترب الوعد الحق، ونزول العذاب بأولئك القوم الشواذ -نسأل الله العفو والعافية-.

اشتد النقاش بين لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقومه، واشتدت المدافعة، وكان يومًا عصيبًا عَلَىٰ لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومن معه.

هنا تكلم الشباب -أولئك الملائكة-، وقالوا: ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [سورة هود: ٨١].

هنا وقع الحق والعذاب عَلَىٰ أولئك القوم المجرمين: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة هود].

هكذا انتهت تلك القصة، وما وقع بأولئك الشواذ، ثُمَّ اختتم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تلك القصة بقوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [سورة هود: ٨٣].

أصحاب الحجر

ومن القصص الَّتِي خلدها التاريخ: قصة تلك القرية الَّتِي تُسمى بالحِجر، أو مدائن صالح، أو ديار ثمود.

هٰذِه القرية تقع شمال المدينة المنورة بحوالي ٣٨٠ كيلومترًا، وتقع بجنوبها مدينة العُلا، ولا تزال الآثار والآبار والبيوت المنحوتة في الجبال شاهدة عَلَىٰ تلك القرية.

كان أولئك القوم يعيشون في سلام وطمأنينة، وبساتين وارفة الظلال، وزرع ونخيل طلعها هضيم، وكانوا يتخذون من الجبال قصورًا، وينحتون من الجبال بيوتًا فارهين.

قد أعطاهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أسباب الرفاهية والسعادة، ولكن للأسف انحرفوا، فأشركوا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وظلموا أنفسهم، فأرسل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إليهم أخاهم صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فدعاهم إِلَىٰ التوحيد ونبذ الشِّرْك، ولكن رفضوا وتجبروا وطغوا، ورفضوا هٰذِه الدعوة.

هنا ذكَّرهم صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمن قبلهم من الأقوام، ذكرهم بقوم عاد في الأحقاف، وما حلَّ بهم من عقوبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما خالفوا توجيه الأنبياء.

فردوا عليه: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾ [سورة هود: ٦٢].

هنا قال قوم صالح: يا صالح إن كنت صادقًا، وأنك مرسل من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأتنا بآية تدل عَلَىٰ صدقك.

هنا أخرج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهم الناقة من الصخر أمام أعينهم، فقال صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [سورة هود: ٦٤].

وكان من معجزات هذِه الآية -أي الناقة- أنها كانت تشرب المياه حَتَّىٰ تكاد أن تقضي عَلَىٰ مياههم، هنا اتفق صالح مع قومه: أن يكون لهم شرب يوم معلوم لا تشرب فيه الناقة، وهناك كذلك يوم آخر للناقة لا يشرب فيه الناس.

تلك الآية العظيمة، وَالَّتِي أخرجها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من تلك الصخرة أمام أعينهم، ولكنهم تكبروا، وردوا تلك الآية استكبارًا وطغيانًا وظلمًا.

هنا أوقف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المطر عنهم فأجدبت الأرض، فقال المستكبرون: يا صالح إنك شؤم على بلادنا، فقالوا: ﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [سورة النمل: ٤٧].

هنا دلهم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَىٰ الطريق السليم للعودة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ونزول الرحمات عليهم، فقال لهم صالح: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة النمل: ٤٦].

لكن للأسف لم يستجب أولئك القوم، والتفتوا إلى المؤمنين، فقالوا: أتعلمون أن صالحًا مرسلٌ من ربه؟ فأجاب المستضعفون: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة الأعراف]

فللأسف عتوا عن أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة الأعراف]، للأسف كان هٰذَا ردهم عَلَىٰ صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تكبرًا وتجبرًا وطغيانًا.

هنا قَالَ صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [سورة هود: ٦٥]، فأصر تسعة رهط من المفسدين في الأرض على قتل صالح وأهله، وإلحاقهم بالناقة: ﴿قَالُوا۟ تَقَٰسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة النمل].

هكذا كانت عاقبة أولئك القوم الذين كذبوا صالحًا عندما دعاهم إِلَىٰ توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، وما هي من الظالمين ببعيد.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الشمس].

نعم الرب ربك

ومن القصص الَّتِي خلدها التاريخ: قصة أبينا إبراهيم مع قومه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٥٢].

يريد أن يذكرهم إبراهيم عن أصل هذه العبادة: مِن أين أتت؟ ولكن كان ردهم سخيفًا: ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٥٣]، هنا رد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قَالَ: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الأنبياء:٥٤]، فقال قوم إبراهيم: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٥٥].

كثر الجدال مع أبيه ومع قومه، هنا أقسم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٥٧]، سوف أحطمها لكم قطعًا قطعًا حَتَّىٰ تعلمون حقيقة هٰذِه الآلهة الباطلة المزعومة.

هنا نَفَّذ إبراهيم القسم بتحطيم تلك الآلهة: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٥٨].

حطَّم جميع الأصنام، وترك ذلك الصنم الكبير؛ حَتَّىٰ إذا رجعوا ورأوا الأصنام قد حُطمت يجدون من يسألونه، فترك ذلك الإله الكبير يسألوه تهكمًا بهم.

هنا لما عادوا ووجدوا الآلهة محطمة قالوا: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٥٩]، فرد بعضهم: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [سورة الأنبياء:٦٠].

هنا تكلم رؤساؤهم فقالوا: ﴿ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ [سورة الأنبياء:٦١]؛ أي عَلَىٰ كلامه واعترافه أنه حطم تلك الأصنام.

هنا أُحضر إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [سورة الأنبياء:٦٢]، فرد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ [سورة الأنبياء:٦٣].

هنا تحرك فيهم العقل السليم وعادوا إِلَىٰ رشدهم: ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [سورة الأنبياء:٦٤]، أنتم عَلَىٰ الشرك وعَلَىٰ باطل، وأن هٰذِه الآلهة لا تنفع ولا تضر.

ولكن للأسف سرعان ما عادوا إِلَىٰ عنادهم وطغيانهم: ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ [سورة الأنبياء:٦٥]، أي يا إبراهيم أنت تعلم أن هٰذِه الآلهة لا تنطق ولا تتكلم.

هنا تكلم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَقَالَ: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الأنبياء]، هنا أُسقط بيد المشركين، ولم يستطيعوا أن يقابلوا الحجة بالحجة، والدليل بالدليل، والبرهان بالبرهان، فكان العناد والظلم.

﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴾ [سورة الأنبياء:٦٨]؛ هنا اتفق المشركون عَلَىٰ حرق إبراهيم في النَّار، فجمعوا كمًّا عظيمًا من الأخشاب، فأشعلوا النار، فكانت

عظيمة حَتَّىٰ أن الطير إِذَا مر من فوقها سقط مشويًا، ولم يستطيعوا الاقتراب من تلك النَّار، فوضعوا منجنيقًا بعيدًا عن النَّار ووضعوا فيه إبراهيم فرموه.

فلما كان في السماء أتاه جبريل فَقَالَ: يا إبراهيم ألك حاجة؟ فنظر إليه إبراهيم فَقَالَ: أما إليك فلا، وأما إِلَىٰ الله فحسبي الله ونعم الوكيل، الله أكبر! كلمة عظيمة، عندما قَالَ هٰذِه الكلمة، قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [سورة الأنبياء:٦٩].

يقال: إن هٰذِه النار اشتعلت أربعين يومًا لم تضر إبراهيم أبدًا، ولم تؤثر به إِلَّا القيد الَّذِي بيده احترق وانفك، وقومه ينظرون إليه، فانطفأت هٰذِه النار وخرج إبراهيم لم يمسسه شيء، بردًا وسلامًا عَلَىٰ إبراهيم.

هنا قابله أبوه آزر، فقال: يا إبراهيم، -كلمة عظيمة اسمعوا مَاذَا قَالَ- قَالَ: "نعم الرب ربك يا إبراهيم"، ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٧٠].

من أسرع المناظرات في التاريخ

ومن القصص التي خلدها التاريخ: قصة ذلك الرجل الذي ملك الدنيا فادعى الألوهية.

في هذا الزمن، خرج إبراهيم للدعوة إلى التوحيد وعبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده، فلما علم النمرود بخروج إبراهيم بهذه الدعوة غضب غضبًا شديدًا، فأُتي بإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى ذلك الملك الظالم.

قال النمرود: يا إبراهيم، تدعي أن هناك إله غيري؟

قال إبراهيم: نعم.

قال: فأتيني بالدليل على ذلك.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ في هذِه القصة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [سورة البقرة:٢٥٨].

سبب هذَا الطغيان أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ آتاه هذا الملك، فادعى الألوهية بدل أن يشكر هذه النعمة، للأسف حارب بها الحق.

رد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: فكان الدليل الأول عَلَىٰ أن الألوهية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قَالَ: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [سورة البقرة:٢٥٨].

فرد النمرود بكل صفاقة فَقَالَ: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [سورة البقرة:٢٥٨]، آتي برجل قد حكم عليه بالقتل فأطلق سراحه، وآتي برجل بريء فأأمر بقتله فيقتل، فأحيَيْتُ وأَمَتُّ.

إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان بإمكانه أن يناقش النمرود عن هذَا الجواب السخيف، لكن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يُرد أن يناقشه، بل باغته بحجة أخرى صفع بها وجه ذلك الظالم النمرود: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [سورة البقرة:٢٥٨].

الإحياء والإماتة، كأن إبراهيم يقول: أنت يا نمرود تدعي أنك تحيي وتميت، والإحياء والإماتة من صفة الْرَّبّ ومن صفة الإله، وأنت تدعي الألوهية، ومن صفة الإله والرب أنه يتصرف بالكون، وما دام أنك إله فإن ربي يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب إن كنت إلهًا.

هنا صُدم وصُعق النمرود، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٥٨].

هكذا انتهت المناظرة في فترة قصيرة، فبُهت الَّذِي ادعى الألوهية، وهكذا دائمًا ادعاءات وحجج أهل الباطل يدحضها الحق.

القوي الأمين

ومن القصص الَّتِي خلدها التاريخ: قصة خروج موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من مصر إِلَىٰ مدين، وسبب ذلك الخروج.

موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في أحد الأيام وجد رجلين يقتتلان، واحد من شيعته والآخر من عدوه، فاستغاثه الَّذِي من شيعته عَلَىٰ الَّذِي من عدوه، فوكزه موسى فقضى عليه بالخطأ.

هنا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ انطلق، ووصل الخبر إِلَىٰ فرعون وملئه، ففي هٰذِه اللحظات جاء رجل من أقصى المدينة يسعى، وقيل هٰذَا الرجل من آل فرعون يكتم إيمانه، جاء من أقصى المدينة يسعى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [سورة القصص:٢٠].

موسى هنا أحس بالخوف: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة القصص:٢١]، فتوجه تلقاء مدين، ودعا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يهديه سواء السبيل: الطريق إِلَىٰ مدين، فاستجاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له الدعاء، ووجهه إِلَىٰ مدين.

فلما وصل أطراف المدينة، ولما ورد ماء مدين، وجد عليه أُمة من الناس يسقون؛ يسقون الماشية والماء لهم، ثُمَّ لاحظ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ امرأتين من دونهم تذودان؛ أي الحلال، حَتَّىٰ لا تختلط بحلال وماشية القوم، حَتَّىٰ لا يقعوا في الاختلاط.

هنا موسى -ذلك الرجل الشهم المؤمن- توجه إِلَىٰ المرأتين: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة القصص:٢٣]، نحن لا نسقي الماشية حَتَّىٰ يذهب أولئك الرجال، لا نريد الاختلاط.

ثُمَّ بينوا لموسى: أن خروجنا هنا ليس للترفيه والاكتساب فقط، سبب ذلك أن أبونا شيخ كبير، لو كان أبونا رجل قوي أو لنا أخ ما خرجنا من البيت، وهٰذِه صفة المرأة المؤمنة.

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يُطل الكلام كما يفعل البعض الآن، بل أخذ الماشية فسقى لهما، ثُمَّ تولى إِلَىٰ الظل يدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، جلس تحت ظل الشجرة ينتظر الفرج بعد أن دعا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وفي هٰذِه اللحظات يأتي الفرج: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [سورة القصص: ٢٥]، الاستحياء: صفة عظيمة من صفات المرأة المؤمنة العفيفة الَّتِي تخاف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، صفة يبحث عنها الرجال وليس أنصاف الرِّجَال.

أتت تمشي عَلَىٰ استحياء فلما اقتربت إِلَىٰ موسى: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [سورة القصص:٢٥]، كلام واضح دقيق مختصر، ما قالت: تعال نعطيك أجر، لا، الكلام واضح: إن الَّذِي يدعوك أبي.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ [سورة القصص:٢٥]، جاء إِلَىٰ ذلك الرجل الصالح وقيل إنه شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ ذلك الرجل الصالح: ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة القصص:٢٥].

هنا إحدى الفتاتين قالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [سورة القصص:٢٦]، وَهٰذَا فيه دلالة أن الفتاتين لا يردن الخروج من البيت، يريدون القرار، لا يردن الاختلاط بالآخرين، يريدون العفة.

هنا قَالَ ذلك الرجل الصالح: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ [سورة القصص:٢٧].

وافق موسى عَلَىٰ هٰذَا الأمر، عَلَىٰ أن يخدم عشر سنوات.

موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أمضى من عمره عشر سنوات لأجل هٰذَا الزواج، فما الَّذِي رآه من تلك المرأة حَتَّىٰ يُمضي ويعمل عشر سنوات ويضحي بهذه العشر السنوات لأجل هٰذِه المرأة، إِلَّا أنه رأى منها العفاف والتُقى والزوجة الصالحة.

فلما قضى الأجل سار بأهله إِلَىٰ مصر عائدًا إِلَىٰ أهله، في طريق العودة حدثت بعض الأحداث، لعلنا نذكرها في لقاء قادم.

العودة إلى مصر

بعد أن أمضى موسى في مدين عشر سنوات، أخذ أهله واتجه إِلَىٰ مصر، وفي الطريق دخل عليهم الليل واشتد البرد، هنا نظر موسى حوله لعله يجد شيئًا يستأنس به، فرأى نارًا من بعيد.

هنا قال لأهله: ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾ [سورة طه:١٠]؛ أي: شعلة من النار آتي بها فتتدفئون بتلك النَّار، ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ [سورة طه:١٠] أجد أناسًا يدلوني عَلَىٰ الطريق الصحيح إِلَىٰ مصر.

هنا انطلق موسى إِلَىٰ تلك النار، فحدثت تلك المفاجأة العظيمة، فسمع ذلك الصوت العظيم: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾ [سورة طه].

هنا موسى تفاجأ من ذلك الصوت: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ١٦﴾ [سورة طه].

هنا الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حَتَّىٰ يُشعر موسى بالأنس والأمان والثقة ويريه المعجزات، سأله الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو أعلم: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [سورة طه:١٧].

هنا موسى مباشرة قَالَ: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ [سورة طه:١٨]، أي: أضرب بها جذوع الأشجار فيتساقط الورق لتأكل أغنامي، ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾ [سورة طه:١٨].

الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قَالَ: ﴿أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ٢٠﴾ [سورة طه]، عندما رماها موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ تحولت هذِه العصى إِلَىٰ حية حقيقية، لم يكن خيالًا أبدًا ولا ضربًا من السحر، بل هذِه العصا تحولت حقيقة إِلَىٰ حية.

هنا موسى خاف وتراجع إِلَىٰ الخلف، فأحس موسى برعب وخوف، كيف هذِه العصا تتحول إِلَىٰ ثعبان، قَالَ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ﴾ [سورة طه:٢١].

هنا موسى تقدم إِلَىٰ تلك الحية فمسكها، فعادت عصا بيده كما كانت.

وحَتَّىٰ يحس موسى بالأنس والثقة أراه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ معجزة أخرى، قَالَ: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [سورة طه:٢٢]؛ أي تحت عضدك أو تحت إبطك، ﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾ [سورة طه:٢٢].

موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كان أسمرًا آدم، فوضع يديه تحت إبطيه فخرجت بيضاء من غير سوء، من غير برص ولا مرض، فازداد موسى ثباتًا، فإذا هي بيضاء من غير مرض من غير سوء: آية أخرى.

قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد أن بين لموسى المعجزات وما أمره من الوحي، طلب منه أن يذهب إِلَىٰ فرعون: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة طه]، فهذا هو الأمر الَّذِي أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به موسى، فعاد منطلقًا إِلَىٰ مصر نبيًا يوحى إليه.

بعد ذلك حدثت أحداث سوف نذكرها في لقاء قادم.

لا تخف إنك أنت الأعلى

عندما خرج موسى من مدين متجهًا إِلَىٰ مصر، توقف في الوادي المقدس طوى، وهنا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ناداه واختاره نبيًا، ثُمَّ أراه بعض المعجزات، ثم أمره أن يذهب إلى فرعون: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٢٤﴾ [سورة طه].

موسى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ أحس بثقل هذه المسؤولية، فدعا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بأربع دعوات: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢﴾ [سورة طه].

الإنسان إِذَا حزبه أمر أو عنده مسؤولية عظيمة، فليدع بدعوات تكون عونًا له عَلَىٰ إنجاز هٰذَا العمل، ومن هٰذَا الدعاء هٰذِه الأدعية الَّتِي دعاها موسى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ.

هنا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ استجاب هٰذِه الدعوة لموسى: ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [سورة طه:٣٦].

انطلق موسى فالتقى بأخيه هارون، وبعد ذلك انطلقا إِلَىٰ فرعون ليدعواه لهذا الدين، ولكن فرعون عصى وتجبر وتكبر.

هنا قام فرعون يُذكر موسى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ بالماضي فقال: ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾ [سورة الشعراء]؛ أي القتل.

هنا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رد على فرعون فقال: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الشعراء].

هنا قال فرعون لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الشعراء].

هنا التفت فرعون إِلَىٰ من حوله: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الشعراء].

هنا قال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لفرعون: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الشعراء:٢٨].

فاستشاط فرعون غضبًا: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الشعراء].

هنا موسى ألقى عصاه: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة الأعراف].

هنا فرعون كذَّب وأبى وَقَالَ لموسى: يا موسى أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك، إِذَا أنت أتيت بهذا السحر فسنأتيك بسحر أعظم من ذلك: ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾ [سورة طه:٥٨].

موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ اختار يومًا يجتمع فيه الناس ليروا المعجزة بأعينهم، فاختار موسى يوم الزينة، وهو يوم عيد.

هنا تولى فرعون وجمع كيده من السحرة، فلما جاء اليوم الموعود يوم الزينة، واجتمع الناس في ذلك الصعيد ضحىً ينتظرون الحدث العظيم، هنا اجتمع السحرة وتشاوروا بينهم فقالوا: ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ﴾ [سورة طه:٦٤]، واتفقوا عَلَىٰ أن يلقوا عصيهم وحبالهم في وقت واحد حَتَّىٰ يرهبوا الناس ويخيفونهم ويكون الأمر عظيم.

هنا عندما اجتمع السحرة قالوا لموسى: ﴿إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾ [سورة طه:٦٥]، هنا موسى رد عليهم رد الواثق بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ﴾ [سورة طه:٦٦].

هنا السحرة ألقوا عصيهم وحبالهم، فسحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم.

هٰذِه العصي والحبال لم تتحول إلى حيات، بل خُيّل للناس، حَتَّىٰ موسى أوجس في نفسه خيفة لما رأى هٰذَا الأمر: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ [سورة طه:٦٦]، خيال فقط وليست حقيقة.

أما موسى عندما ألقى العصا تحولت إِلَىٰ حية عندما أمرها الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فأمره أن يلقي عصاه فألقاها فإذا هي حية تسعى.

وفي هٰذِه اللحظات حية موسى العظيمة قامت وابتلعت كل عصي وحبال أولئك السحرة، هنا حصل أمر عظيم ومفاجئ لفرعون، هٰذِه المفاجأة كانت صدمة لفرعون: ﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٢٠].

علموا أن الَّذِي أتى به موسى ليس بسحر، وَإِنَّمَا هي معجزة ربانية، ولذلك سجدوا مباشرة أجمعين، لم يتخلف منهم واحد: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢﴾ [سورة الأعراف].

هنا استشاط فرعون غضبًا وَقَالَ: ﴿ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ٧١﴾ هنا رد السحرة على فرعون بعد أن امتلأ قلبهم بالإيمان ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ٧٣﴾ [سورة طه].

هكذا ينتصر دائمًا الحق عَلَىٰ الباطل، وأن العزة لله وحده.

ماذا حدث بعد ذلك؟ ماذا حدث للسحرة؟ وماذا حدث لموسى؟ وماذا حدث لبني إسرائيل.

فاليوم ننجيك ببدنك

فرعون بلغ من الحقد والضغينة والحنق بموسى ومن معه حَتَّى نوى قتلهم، هنا أمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ موسى أن يسري بعباده: ﴿۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ [سورة الشعراء:٥٢]، فأمره بأن يسري بهم ليلًا، وأخبره أنهم متبعون من فرعون.

أمر موسى بني إسرائيل الخروج ليلًا.

هنا علم فرعون بخروج موسى ومن معه من مصر متجهين تجاه البحر الأحمر، هنا ازداد حقد وحنق فرعون، فأرسل في المدائن حاشرين، يُحشر الجنود والناس والسلاح والركاب للحاق بموسى ومن معه حتى يفتكوا بهم، فخرجوا مشرقين صباحًا.

فالتقى الجمعان؛ جمع فرعون -ذلك الجمع الضخم المدجج بالسلاح-، وجمع موسى ومن معه -أولئك القلة بلا سلاح-، كلٌ ينظر إِلَىٰ الآخر.

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ [سورة الشعراء:٦١]، قال ضعيفي الإيمان: يا موسى إنا لمدركون؛ إن دخلنا البحر متنا غرقًا، وإن انتظرنا قتلنا فرعون ومن معه.

لكن موسى تكلم وقال قول الواثق بربه المؤمن: ﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [سورة الشعراء:٦٢].

لما قَالَ هٰذِه الكلمة، كلمة الواثق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أوحى إِلَىٰ موسى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ [سورة الشعراء:٦٣]، فضرب موسى بعصاه البحر فأصبح كل فرق كالطود العظيم؛ كل جانب من البحر انفتح فأصبح كل جانب كالجبل العظيم.

سبحان الله، هٰذَا البحر أصبح يبسًا: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [سورة طه:٧٧]، أصبحت الأرض يابسة، لا طين ولا زلق.

هنا أمر موسى بني إسرائيل بدخول هٰذِه الطرقات، وكانت اثنا عشر طريقًا حَتَّىٰ لا يزدحم الناس، وفرعون ينظر إِلَىٰ هٰذِه المعجزة العظيمة وَهٰذَا التحول العظيم في البحر.

فانطلق موسى ومن معه حَتَّىٰ وصلوا إِلَىٰ الجانب الآخر من البحر إِلَىٰ البر، وفرعون ينظر، فرعون ينظر إِلَىٰ هٰذِه المعجزة، ولكن أعمى قلبه حقده وضغينته عَلَىٰ موسى، لا يفكر إلا بقتل موسى.

هنا أمر فرعون أصحابه بدخول هٰذِه الطرقات، موسى في هٰذِه اللحظات أراد أن يضرب البحر ليعود كما كان، لكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾ [سورة الدخان:٢٤]، أي: كما هو ساكنًا يا موسى: ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ [سورة الدخان:٢٤].

فترك موسى البحر فدخل فرعون ومن معه حَتَّىٰ توسطوا البحر، فأعاد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ البحر كما كان هائجًا، فغرق فرعون ومن معه: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الدخان].

فرعون عندما أدركه الغرق قَالَ: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة يونس:٩٠].

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [سورة يونس].

فأنجى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذلك الجسد، فأصبح آية إلى يومنا هذا، بل إلى يوم القيامة، آية لكل جبار وطاغية يريد الإفساد في الأرض.

في مثل هٰذَا اليوم الَّذِي أنجى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيه موسى، أمر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصيام ذلك اليوم.

قالت هيت لك

ومن القصص التي خلدها التاريخ: تلك العفة الَّتِي خالطت قلب ذلك الشاب، تهيأ المكان والزمان والجمال وغُلقت الأبواب، وقالت: هيت لك، ولكن قَالَ: معاذ الله.

يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عندما باعه إخوته عَلَىٰ المسافرين: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [سورة يوسف:٢٠]، اشتراه أولئك المسافرون فباعوه في مصر عَلَىٰ ذلك الرجل، فاشتراه ثُمَّ ذهب به إِلَىٰ قصره، فقال لامرأته: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [سورة يوسف:٢١].

بلغ يوسف من العمر عمر الشباب، فلما بلغ أشده آتاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حكمًا وعلمًا، اشتد عوده، أصبح صاحب حكمة وعلم وجمال، هنا فُتنت به تلك المرأة الَّتِي تربى في بيتها: فراودته عن نفسها ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ [سورة يوسف:٢٣].

أتت بيوسف إِلَىٰ غرفتها فغلقت الأبواب -قيل سبعة أبواب-، تزينت له وتعطرت وتجملت حَتَّىٰ تُغري يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [سورة يوسف:٢٣]؛ يوسف لقد تهيأت لك وتجملت لك فهلم إلي.

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [سورة يوسف:٣٠]؛ وصل حب يوسف في قلبها شغاف قلبها، حَتَّىٰ أعميت إلا أن تقع في هذَا المنكر.

يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عندما قالت: هيت لك، لم يفكر يوسف أبدًا، قال: معاذ الله عَلَىٰ طول، لم يفكر، بل جاوب جواب واحد: معاذ الله.

الَّذِي منع يوسف عن الوقوع في هذه الرذيلة سببان:

⬅ **السبب الْأَوَّلُ**: خوفه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عندما قَالَ: معاذ الله؛ أي ألتجئ بالله، أعوذ بالله، خوفه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

⬅ **السبب الثَّانِي**: عدم خيانته لسيده، كيف يخون رجل رباه وأكرم مثواه: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [سورة يوسف:٢٣].

هنا يوسف انطلق هاربًا إِلَىٰ الباب يُريد أن يفتح الباب: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ [سورة يوسف:٢٥]، هرب يوسف عنها، بعد أن همت به: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ [سورة يوسف:٢٤]، ﴿هَمَّتۡ بِهِۦۖ﴾ ليفعل الفاحشة بها، ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ من خطرات في القلب، يوسف بشر وشاب، مجرد خطرات.

﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ [سورة يوسف:٢٤]؛ أي ما كان في قلبه من الإيمان منعه أن يسترسل مع هٰذِه الخطرات.

هنا يوسف هرب إِلَىٰ الباب يريد أن يفتحه: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ [سورة يوسف:٢٥]، يوسف هربًا من هذا الأمر المنكر وهي تلحق به: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ﴾ [سورة يوسف:٢٥]، أمسكت قميصه من الخلف فشقته، تريد أن تخلع ملابسه.

هنا فتح يوسف الباب فإذا المصيبة والطامة الكبرى عندما رأوا العزيز أمام الباب، صُدمت امرأة العزيز.

هنا هٰذِه المجرمة بادرت قبل أن يتكلم يوسف فقالت: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ [سورة يوسف:٢٥]، هٰذَا يريد بي السوء، يريد أن يفعل الفاحشة في زوجتك، ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾ [سورة يوسف:٢٥]، يعني تمسكنت، ثُمَّ وضعت العقوبة.

عندما وضعت العقوبة وضعته خوفًا عَلَىٰ يوسف، لا يزال حبه في قلبها، لو قالت هٰذِه المرأة: أنه أراد أن يفعل بي السوء، ممكن العزيز يقتل يوسف، لكن وضعت خطوات، قالت: ﴿إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف:٢٥]، نسجنه أو يُعذب.

هنا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ذلك الشاب المسكين في هٰذِه اللحظات: ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ [سورة يوسف:٢٦]، هنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أرسل شاهدًا من أهلها، فَقَالَ: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٢٧﴾ [سورة يوسف].

هنا العزيز نظر في هٰذَا الدليل العقلي الصحيح: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝٢٨ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ [سورة يوسف]، يوسف لا تتكلم بهذا، خلاص انسَ الموضوع ولا تخبر أحد، ونظر إِلَىٰ زوجته فَقَالَ: ﴿وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [سورة يوسف:٢٩]، بكل برود، حَتَّىٰ العزيز يعني ليس فيه غيرة، بكل برود: استغفري لذنبكِ.

في هٰذِه اللحظات انتشر هٰذَا الخبر بين نساء المدينة: ﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [سورة يوسف:٣٠]، وصل حبه في شغاف قلبها.

امرأة العزيز سمعت بمكر وكلام أولئك النسوة، وكانوا من علية القوم، فأعدت وعزمتهن وأحضرت الطعام وأتت بسكاكين، ثُمَّ قالت ليوسف: ادخل، فدخل يوسف، فرأينه وأكبرنه، وتلخبطوا، يعني وقعوا في الفتنة كما وقعت امرأة العزيز، فقالوا: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة يوسف:٣١]، عجيب هذا الجمال، لم نعهده في البشر.

هنا امرأة العزيز عندما سمعت كلامهن، وأن وقع في قلبهن كما وقع في قلبها: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [سورة يوسف:٣٢]، سوف أسجنه أو يكون ذليل.

هنا يوسف ينظر ويسمع هذا الكلام، فاتجه إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَهذا هو الصحيح: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [سورة يوسف:٣٣]، يوسف قَالَ: يا رب إِذَا لم تنقذني من هذا الأمر أصبُ إليهن وأكن من الجاهلين والخاطئين.

هنا استجاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا الدُّعَاء: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة يوسف:٣٤].

الفتنة الَّتِي وقع فيها يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أعظم من فتنة السجن، وأعظم من فتنة رمي إخوته له في البئر؛ لأن رمي إخوته له في البئر لم يكن بإرادته، وكذلك دخول السجن ليس بإرادته، أما مسألة الوقوع في الزِّنَا فهذا بخياره، فكانت فتنة عظيمة، شاب غريب بعيد عن الناس وغُلّقت الأبواب، وهي اللي قالت له: تعالَ، ومع ذلك كانت فتنة أعظم، فثبت يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأنقذه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من هذا الأمر

ألا تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين

ومن القصص الَّتِي خلدها التاريخ: قصة ذلك الطير الَّذِي قطع المسافات واكتشف مملكة تعبد الشمس من دون الله، فضاق صدره بذلك وأنكر ما كانوا عليه، وكان سببًا لإسلام تلك الأمة.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٢١﴾ [سورة النمل]؛ سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عندما تفقد الطير لاحظ غياب الهدهد، وَالَّذِي كان في رحلة واكتشف تلك الأمة.

فما لبث غير بعيد حَتَّى حضر ذلك الهدهد إِلَىٰ مجلس سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فقال الهدهد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤﴾ [سورة النمل].

قال الهدهد: إني لاحظت عليهم أمرين: مملكة ورجال تملكهم امرأة، وتُسيّر شؤونهم امرأة، وأنهم يسجدون لغير الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، هنا أراد الهدهد أن يقول لسليمان: إني لا أكذب، ولكن صمت سليمان أخافه.

سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ سكت برهة من الزمن يفكر، فقرر أن يكتب خطابًا لتلك الملكة، فأمر بإحضار ورقة وقلم، فكتب رسالة موجزة وسلمها للهدهد، وقال للهدهد: اذهب بكتابي هٰذَا فألقه إليهم، ثُمَّ تولَّ عنهم فانظر مَاذَا يرجعون؟

مَاذَا حوى ذلك الكتاب الموجز؟ استلم الهدهد الكتاب، وانطلق إِلَىٰ مملكة سبأ حيث الملكة بلقيس، فوصل الهدهد وألقى الخطاب إِلَىٰ الملكة، فتحت الملكة الخطاب وكان موجزًا، فأخذت هٰذَا الخطاب واجتمعت برؤساء تلك المملكة ووزرائها حَتَّىٰ لا تخرج عن رأيهم ولا تتسرع.

فاجتمعت بهم: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة النمل].

هٰذَا الكتاب الموجز الواضح ليس فيه لبس، كتاب مُهذب، ولكنه قوي، وليس فيه أي خيار إِلَّا الإسلام.

سكت القوم، ولكن بلقيس قاطعت ذلك الصمت: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [سورة النمل:٣٢].

هنا تكلمت العنجهية والغرور والثقة الزائدة بالنفس: ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة النمل].

بلقيس خالفت ذلك الرأي، تلك المرأة المحنكة الذكية، أرادت أن تفكر بروية، فهي لا تعرف ذلك الملك ولا قوة ذلك الملك، فقالت لقومها وزرائها: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [سورة النمل:٣٤].

ولكن أشارت إليهم برأي، فقالت لهم: ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [سورة النمل:٣٥]، سوف نعطيه هدية وهنا يتبين هل هٰذَا ما يريده، أهو يطمع بتلك

المملكة وهي مملكة سبأ أم مَاذَا؟ وكذلك ننتظر من الرسل يرجعون ليخبرونا عن ذلك الملك وعن تلك المملكة وعن جنودها وقوتها واستعدادها، وبعد ذلك نُقرر.

وصلت الهدية إِلَىٰ أرض ومملكة سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فجاءت الاستطلاعات إِلَىٰ سليمان تخبره بذلك، فعلم سليمان أن بلقيس ملكة سبأ أرسلت الرسل حَتَّىٰ تعرف وتأخذ معلومات عن تلك المملكة المجهولة في نظرها وعن قوتها.

هنا أمر سليمان بحشد الجيوش، فدخل الرُسُل إِلَىٰ تلك البلدة فوجدوها غابة من الأسلحة المدججة والجنود، لم يكن بشر فقط، بل جنود من الإنس والجن والأسود والنمور والذئاب، بل منها من تُحمل أرضًا ومنها من تُحمل جوًا.

هنا صُدم أولئك الرسل، فوجدوا هديتهم لا تسوى شيء، وعلموا أن ذلك الملك لا يُهزم أبدًا، فوقعوا في أيديهم.

هنا قدم السفراء الهدية إِلَىٰ سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فغضب سليمان: ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۡۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾ [سورة النمل:٣٦].

سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أراد أن يبين لهم أنه لا يُشترى بالمال ولا يُشترى رضاه بالهدايا، ولكن بشيء آخر: ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ [سورة النمل:٣١].

هنا قال سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [سورة النمل:٣٧].

هنا أمر رسل بلقيس بالخروج، فرأى الرسل بأم عينهم تهديد سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وأن الأمر جد مخيف.

فلما رأى الرسل تلك القوة وذلك التهديد، قالوا لسليمان واقترحوا عليه: يا سليمان، يا أيها الملك، سوف نذهب إِلَىٰ بلقيس ونطلب منها أن تجيء إليك زيارة ولا تستعجل، فرضي سليمان بذلك.

فعاد الرسل إِلَىٰ اليمن إِلَىٰ مملكة سبأ، فأخبروا بلقيس بكل شيء، وأن سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لديه من الجنود ما لا قبل لهم به ولا يستطيعون أن يهزموهم أبدًا، واقترحوا عليها أن تذهب إلى سليمان وترضاه، فوافقت عَلَىٰ ذلك، وعلم سليمان بذلك.

وفي أحد الأيام كان سليمان مع وزرائه وكان يفكر في بلقيس، وكان يعلم أنها في الطريق إليه، وعلم سليمان أن لبلقيس عرش عظيم كانت تجلس عليه، فطلب من وزرائه أن يأتوا بهذا العرش قبل أن تأتي بلقيس حَتَّىٰ تُصدم بهذه المعجزة.

هنا: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ [سورة النمل:٣٩]، وكان مقام سليمان من ساعة إِلَىٰ ساعتين، سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يرد عَلَىٰ ذلك العفريت وذلك العرض؛ لأن سليمان كان يريد أن يُؤتى بالعرش بأسرع من ذلك.

وكان هناك رجل عنده علم من الكتاب: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ﴾ [سورة النمل:٤٠]، قبل أن ترمش عينك.

في هذه اللحظات وإذا بالعرش مُستقر أمام سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فلما رآه مستقرًا عنده لم يأخذ سليمان الغرور بذلك، بل قال سليمان: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ﴾ [سورة النمل:٤٠].

تأمل سليمان في ذلك العرش طويلًا، ثُمَّ أمر من حوله أن يغيروا في ذلك العرش، يزيدون وينقصون: ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ [سورة النمل:٤١].

بلقيس تصل إِلَىٰ أرض الشام وَإِلَىٰ مملكة سليمان، فلما دخلت ووجدت أمامها ذلك العرش المشابه لعرشها، فوجئت وصُدمت، قيل لها: أهكذا عرشكِ؟ قالت: كأنه هو، ففكرت: إن كان هٰذَا عرشها فكيف أتى قبلها وهي تركته في اليمن في سبأ؟ وإن لم يكن هو، فكيف استطاعوا أن يقلدوا ذلك العرش!

هنا أدركت بلقيس من كلام سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنَّ هٰذَا هو عرشها، وأنَّ هٰذَا العرش سبقها بالمجيء إِلَىٰ قصر سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

هنا أتى الأمر بدخول بلقيس: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة النمل:٤٤].

دخلت تلك الملكة إلى هٰذَا الدين العظيم بفضل الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ومن أسباب دخولها إلى هذا الدين ذلك الطير الَّذِي كان صاحب همٍ في الدعوة إِلَىٰ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، هذا الهم وَالَّذِي للأسف لا نجده عند كثير من الناس.

جعلنا الله وإياكم من الدعاة إِلَىٰ هٰذَا الدين الحنيف.

للبيت رب يحميه

ومن القصص الَّتِي خلدها التاريخ: تلك القصة التي نزل في شأنها سورة كاملة.

وبداية قصتنا في قرية نجران، تلك القرية الَّتِي دخل أهلها في النصرانية، وممن دعا إِلَىٰ النصرانية رجل يُدعى عبد الله بن الثامر.

فعلم بذلك ملك اليمن وكان يُسمى: ذو نواس، فغضب غضبًا شديدًا وذهب فقاتلهم فهزمهم، ثُمَّ خيرهم بين ترك النصرانية أو القتل فاختاروا القتل، فخدد الأخاديد وأشعل النَّار ثُمَّ أمر بهم فرموا في هذه النَّار: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨﴾ [سورة البروج].

نجا منهم البعض، وممن نجا رجل يسمى دوس ذو ثعلبان، انطلق بخيله مسرعًا إِلَىٰ الصحراء حَتَّىٰ وصل إِلَىٰ قيصر الروم وكان على النصرانية، فأخبره بما حدث من ذي نواس، فغضب قيصر الروم، ولكن المسافة بعيدة، ولكن أعطاه كتابًا إِلَىٰ ملك الحبشة ليساعدهم، فذهب إِلَىٰ ملك الحبشة فأعطاه كتاب قيصر الروم، فجيش الجيوش-أي ملك الحبشة-، فشكل جيشًا من سبعين ألف مقاتل، يقود هذَا الجيش رجل يسمى أرياط من خيرة القادة، فانطلق إِلَىٰ اليمن فقاتل ذو نواس وهزمه، ثُمَّ هرب ذو نواس ومات غرقًا في البحر.

بعد فترة حصل خلاف بين أرياط وبين أبرهة الحبشي، فتصارعا وتقاتلا، فقتل أبرهة الأشرم أرياط واستولى عَلَىٰ الحكم، ووقت القتال ضرب أرياط أبرهة بالسيف عَلَىٰ جفنه وأنفه وفمه فأصبح أشرمًا، عمومًا أصبح الملك بيد أبرهة الأشرم.

أبرهة حَتَّىٰ يبين حسن نيته عند ملك الحبشة وحتى لا يغضبه بنى له كنيسة لم يُرَ مثلها، ورُصِّعت بالذهب والفضة والصلبان، ثُمَّ أرسل رسالة إِلَىٰ ملك الحبشة قال: إني بنيت لك كنيسة لم تُبنَ لملك من قبلك، ولن أرتاح حتى يحج إليها العرب بدل الكعبة.

في هٰذِه اللحظات كان هناك رجل من العرب من أهل مكة وما حولها سمع هذا الكلام فغضب غضبًا شديدًا وغار لأجل الكعبة، فأتى ليلًا يتسلل حَتَّىٰ دخل إلى الكنيسة وبال وتغوط فيها -أجلكم الله- ولطخ جدران الكنيسة، ثُمَّ هرب ليلًا.

في الصباح علموا وعلم أبرهة، فغضب غضبًا شديدًا وأقسم بالله ليهدمن الكعبة انتقامًا لهذا الفعل.

جيش الجيوش، جيش مقداره ستون ألف مقاتل، خرج متجهًا إلى مكة، وأول من قابله أناسٌ من أهل اليمن وما حولها يريدون أن يثنوه ويقاتلوه، وكان بينهم رجل يسمى ذو نفر، ولكن هزمهم وأسر قائدهم ذو نفر، فلما أراد أن يقتله قال: لا تقتلني، لعل في بقائي معك خير لك، فأسره ثم انطلق.

وفي الطريق وصل بلاد خثعم، وكان سيدهم يُسمى: نفيل بن حبيب الخثعمي، قاتله ليثنيه، وهزمه أبرهة الأشرم، فأسر نفيل بن حبيب الخثعمي وأراد أن يقتله، قال: لا تقتلني فإني دليلك إلى بلاد العرب، وإن تحت يدي قبيلتي خثعم وناعس، فأسره.

ثُمَّ انطلق حتى وصل إلى الطائف، فخرج إليه سيدها فقال: نحن عبيدك وتحت طاعتك، ولن نخالف أمرك، وَهٰذَا البيت ليس البيت الَّذِي تقصده -يقصد اللات-، إِنَّمَا البيت الذي تقصده في مكة، وسوف أعطيك رجلًا يدلك على الطريق، فأعطاه رجلًا يسمى أبو رغال، فانطلق معه يدله على الطريق فمات في الطريق ودُفن، فرجمته العرب بعد ذلك.

وصل أبرهة الأشرم إلى وادي محسر، وهو بين منًى ومزدلفة، فعسكر هناك، ثم طلب أحد رسله أن يذهب إِلَىٰ مكة ويبحث عن سيد ذلك الوادي ويخبره أنه لا يريد القتال، أتى ليهدم الكعبة فَقَطْ، فإن هم لم يُقاتلوني هدمت الكعبة ورجعت إِلَىٰ اليمن، وإن هم أبوا وقاتلوني قاتلتهم وهدمت الكعبة، فإن رضوا بذلك فأتِ بسيد ذلك الوادي.

فلما ذهب وسأل عن سيد ذلك الوادي، فقالوا: هٰذَا عبد المطلب بن هاشم، فذهب إليه فقال ما قاله أبرهة الأشرم، فقال عبد المطلب: نحن لا نُريد قتالًا، وإنما نريد الإبل؛ لأن مقدمة جيش أبرهة أخذوا إبل قريش ومنها إبل عبد المطلب، وكان عددها مئتي بعير.

الَّذِي حدث أن هذا الرسول أخذ عبد المطلب إلى أبرهة ودخل عليه، فلما دخل عليه وكان عبد المطلب مهابًا، هيئته تُهاب، فلما دخل قام أبرهة الأشرم الحبشي هيبةً من عبد المطلب، فقال أبرهة: ما تريد؟ قال: أريد إبلي.

فصُدم أبرهة، فقال أبرهة لعبد المطلب: عندما رأيتك هبتك، ولما سمعت كلامك سقطت من عيني، أنا أتيت لأهدم الكعبة الَّذِي هو دينك ودين آبائك، ثُمَّ تطلب الإبل؟ فقال عبد المطلب: أنا رب الإبل، وللبيت رب سيمنعك.

فقال أبرهة بكل غرور: ومن سيمنعني منه؟ لن يمنعني منه أحد، فقال عبد المطلب: أنت وذاك، فأعطاه الإبل وانطلق عبد المطلب إِلَىٰ مكة، ثُمَّ قَالَ لأهلها: اخرجوا إِلَىٰ الأودية والجبال فإن هٰذَا الجيش لا قبل لكم به، ثُمَّ انطلق إِلَىٰ الكعبة وتعلق بحلقة الباب ودعا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قَالَ: هٰذَا بيتك فامنعه منه، ثُمَّ انطلق إِلَىٰ الجبال.

هنا تقدم أبرهة الأشرم حَتَّىٰ أراد أن يدخل إِلَىٰ مكة، وكان أمامهم فيل عظيم يقود هٰذِه المسيرة، فلما وجهه إِلَىٰ مكة أتى نفيل بن حبيب إِلَىٰ أذن ذلك الفيل وكان يسمى محمود، فقال: يا محمود عُد راشدًا فإن هذا بيت الله، إبرك يا محمود، فبرك.

فعندما أرادوا أن يقيموه لم يقم، يوجهونه جهة الشام جهة المشرق جهة اليمن ينطلق، يوجهونه جهة الكعبة يبرك، ضربوه بالسهام وبالرماح ولم يتحرك.

في هٰذِه اللحظات إِذَا بطيور غريبة من جهة البحر بأعداد ضخمة، كل طير يحمل ثلاثة من الحجارة في منقاره وفي رجليه، وَهٰذِه الأحجار من النَّار، فأتت هٰذِه الأسراب وتقصف، وقامت بقصف ذلك الجيش.

هٰذِه الحجارة كلما أصابت شخصًا أو حيوانًا أذابته، أذابت اللحم والعصب والشحم، لا يبقى إِلَّا العظام، فلم تُبقِ منهم أحدًا إِلَّا القليل، ومنهم أبرهة الأشرم أُصيب في هٰذِه، فعاد إلى اليمن يتقطع قطعة قطعة حَتَّىٰ أشرف عَلَىٰ أبواب اليمن فانفلق صدره فمات[1].

(١) سيرة ابن هشام (١/٧٦).

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾

[سورة الفيل].

حدث غير مجرى التاريخ

ومن القصص الَّتِي خلدها التاريخ: قصة ذلك المولود الَّذِي وُلد في عام الفيل فكان خير مولود عَلَىٰ هٰذِه البسيطة.

ترعرع ذلك المولود حَتَّىٰ أصبح شابًا، فكان خير شباب ذلك الزمان، حَتَّىٰ أن قومه ينادونه ويلقبونه بالصادق الأمين، نعم إنه نَبِيُّنَا مُحَمَّد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ترعرع ذلك الشاب، وكان الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يُربيه لأمر عظيم، فكان في قومه صاحب مكانة وخلق وأمانة، كان له شأن عظيم، كان صاحب عقل راجح.

مُحَمَّد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَىٰ مر السنوات يُهيأُ لأمر عظيم، فلما شارف الأربعين، حُبب إليه الاختلاء والخلوة، فكان يختلي في غار حراء في جبل النور الأيام ذوات العدد، فكان يخلو ويتعبد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عَلَىٰ ملة إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، وكان الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يُهيئه ويُربيه[1].

ومن الأمور الَّتِي كانت تحدث للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أنه كان يرى الرؤيا فتصبح كفلق الصبح وتتحقق، وكان هناك كما أخبر الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا فِي مَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ**»[2].

كل هٰذَا تهيئة للرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لهذا الأمر العظيم: ألا وهو أمر البعثة.

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٥٣)، ومسلم (١٦٠).

(٢) صحيح مسلم: (٢٢٧٧).

ففي يوم من الأيام وكان النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الغار، فإذا بذاك المخلوق: ألا وهو جبريل يدخل عَلَىٰ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: اقرأ، فقال مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»؛ أي لا أعرف القراءة، فغطه غطة، أي ضمه ضمة، فَقَالَ: اقرأ، فقال: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»، ثُمَّ غطه الغطة الثانية، ثُمَّ تركه فقال: اقرأ، قَالَ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»، فغطه الغطة الثَّالِثة ثُمَّ تركه، فقال: اقرأ، قَالَ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»، ثُمَّ قَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [سورة العلق].

هنا انطلق النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ بيته خائفًا فزعًا، قلبه يرجف، حَتَّىٰ وصل إِلَىٰ بيته ودخل عَلَىٰ زوجه خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي**»، فزملته خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وغطته حَتَّىٰ ذهب عنه الروع، فلما ذهب عنه الروع أخبرها بالخبر فَقَالَ: «**لَقَدْ خَشِيتُ علَىٰ نَفْسِي يَا خَدِيجَة**»، فقالت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**كَلَّا، لا يُخْزِيكَ اللهُ، فَإِنَّكَ تَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَىٰ نَوائِبِ الحَقِّ**».

ثُمَّ أخذته إِلَىٰ ابن عمها ورقة بن نوفل، وقد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الإنجيل بالعربية، فلما دخلت هي ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ ورقة، فقالت: يا ورقة يا ابن عمي اسمع مَاذَا يقول مُحَمَّد، فقال: هات ما عندك يا محمد.

فلما أخبره بالخبر قَالَ ورقة: ذَلِكَ النَّامُوسُ الذي نَزَلَ علَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، "**وَوَاللهِ لَوْ أَنِّي كُنْتُ فِيهَا جَذَعًا وَحَيًّا لَنَاصَرْتُكَ حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ**"، قال: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟**» قالَ ورَقَةُ بن نوفل: "**نَعَمْ، مَا جَاءَ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ به إِلَّا عُودِيَ، وَأُخْرِجَ**"(١).

هنا رجع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ بيته وفتر الوحي، وفي أحد الأيام وهو في غار حراء بعد أن تعبد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو راجع إِلَىٰ مكة من الغار، فإذا بصوت يسمعه مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فوقه، فنظر إِلَىٰ الأعلى فإذا ذلك الملك عَلَىٰ كرسي بين السماء والأرض، يقول: «**فَجُئِثْتُ عَلَىٰ وَجْهِي**» أي: سقطت على وجهي، ثُمَّ يقول: «**عِنْدَمَا أَفَقْتُ انْطَلَقْتُ إِلَىٰ بَيْتِي فَدَخَلْتُ عَلَىٰ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي، دَثِّرُونِي**»(٢)، فغطوه.

ثُمَّ أتاه جبريل في بيته فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [سورة المدثر].

هنا بدأت الدعوة إِلَىٰ التوحيد وإلى الإسلام، هنا شمر النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساق الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فبدأ بالدعوة إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هنا ازداد نزول الوحي وحمي نزول الوحي عَلَىٰ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فشمر عن ساعديه، فأصبح يدعو الصغير والكبير، العبد والحر، يدعوهم إِلَىٰ التوحيد ومنابذة الشرك.

---

(١) صحيح البخاري: (٣)، ومسلم: (١٦٠).

(٢) صحيح البخاري: (٤٩٢٢)، ومسلم: (١٦١).

هٰذَا الحدث كان من أعظم الأحداث الَّتِي حدثت على هٰذِه الأرض وغيرت مجرى التاريخ.

إسلام حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بعد أن أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبيه مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجهر بالدعوة والصدع بها: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الحجر:٩٤].

هنا شمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجهر بهذه الدعوة المباركة، وأمر أصحابه بذلك، فأُوذوا أيما إيذاء؛ سُبوا وشُتموا وعُذبوا، ومن أعظم من آذى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أبو جهل عليه لعنة الله.

في أحد الأيام كان النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسًا عند الصفا، فأتى أبو جهل فسبه وشتمه وآذاه، شتمه أقبح الشتائم، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساكت لا يتكلم، لا يريد أن يرد السوء بالسوء، هذه أخلاق الأنبياء، ثم انطلق أبو جهل إلى نادٍ من أندية قريش عند الكعبة.

في هذه الفترة، رجع حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من القنص، وكان مشركًا في تلك الفترة، فلقيته خادمة لعبد الله بن جدعان فقالت: يا أبا عمارة، يا أبا عمارة، أما سمعت ماذا فعل أبو الحكم ابن هشام في ابن أخيك مُحَمَّد؟ فقال حمزة: وماذا قال؟

حمزة هو عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخوه من الرضاعة.

قال حمزة: ماذا قال؟ ماذا فعل به؟ قالت: قد شتمه وسبه سبًا شنيعًا، ومحمد ساكت لم يتكلم.

هنا غضب حمزة بن عبد المطلب غضبًا شديدًا، وجعل في نفسه إذا لقي أبا الحكم بن هشام -أبو جهل- ليبطش به، فانطلق وكان في يده قوس، فذهب إِلَىٰ المسجد فلقي أبا جهل في

أحد الأندية وحوله أصحابه. فقال: يا أبا الحكم، أتسب ابن أخي محمد وأنا على دينه وأقول ما يقول؟ -لم يكن على دينه ولكن حمية-، فرفع القوس وضربه على وجهه فشجه شجة منكرة.

فقام رجال من بني مخزوم يريدون الدفاع عن أبي جهل، فقال أبو جهل: دعوه، دعوا أبا عمارة، فإني شتمت ابن أخيه شتمًا قبيحًا(١).

ثُمَّ عاد حمزة، وفي الطريق رجعت الأفكار ورجع إِلَىٰ عقله، كان في سكرة الحمية، فقال: ماذا قلت؟ كيف أنا على دين محمد ذلك الصابئ؟ فأتى الشيطان يوسوس لحمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيف تقول هذا الكلام؟ كيف تترك دين عبد المطلب؟ ما هذا الكلام؟ فضاق صدره وأتى عليه الليل.

ثُمَّ قال: يا رب أرشدني لما فيه خير، إن كان هذا الدين على حق فوفقني، وإن لم يكن ذلك فاجعل لي مخرجًا.

فبات تلك الليلة بشر ليلة من وساوس الشيطان، يعطيه خططًا حَتَّىٰ يعود إلى كفره وشركه، فلما أصبح ذهب إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن أخيه فدخل عليه فقال: يا ابن أخي، لقد حصل كذا وكذا، وقلت كذا وكذا، أنا على دينك، يا ابن أخي أرشدني إن كان الذي قلته خطأ وأن هذا الدين باطل فأرشدني.

(١) سيرة ابن هشام (١/٢٩١).

فهنا تكلم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرحمة المسداة، فذكَّر عمه حمزة، ذكَّره بالله، وذكَّره بالوعيد والرجاء، وذكَر له بعض الآيات، هنا انشرح صدر حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للإسلام.

هنا قال حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نِعْم الدين هذا الدين! نعم يا ابن أخي أنت على حق وهذا هو الدين الصحيح، فاصدع بما تؤمر، اجهر بالدعاء لهذا الدين وأنا معك، والله يا ابن أخي لو أن لي ما أظلَّت السماء ما عدت إلى ديني اَلأَول، اذهب وادعُ جهارًا نهارًا وأنا معك.

بإسلام حمزة بن عبد المطلب عُز هذا الدين، كان حمزة من خيرة وأشد فتيان مكة.

الإسراء والمعراج

ومن القصص التي خلدها التاريخ: تلك الرحلة العظيمة والتي تُعتبر من أعظم معجزات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تلك الرحلة الَّتِي تُعتبر بمثابة مكافأة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد سنوات طويلة من الدعوة ومن الآلام والسب والشتم.

أتت هذِه الرحلة بلمعات، وكانت مفاجئة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إكرامًا له وإكرامًا لمنزلته، كما أخبر ذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

هذه الرحلة خرجت من المسجد الحرام، أُسري بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عُرج به إلى السماء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [سورة الإسراء].

هذه الرحلة اشتملت على أحداث عظام نسردها لكم سردًا.

بينما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات ليلة في الحطيم أو في الحجر مضطجعًا؛ إذ أتاه آتٍ فأخذه فشق ما بين نحره إِلَىٰ أسفل بطنه، ثم أُتي بطست مملوء إيمانًا، فأُخذ هذَا القلب، وأُخرج ذلك القلب الطاهر قلب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فغُسل بذلك الطست، وكان من الذهب، ثم أُعيد هذا القلب إلى صدره وعاد كما كان.

ثُمَّ أُتي للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدابة أصغر من البغل وأكبر من الحمار، أبيض اللون، يُسمى: البراق، وكان البراق مُسرجًا مُلجمًا، فلما أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يركبه استصعب البراق،

فقال له جبريل: أبمحمدٍ تفعل هذا؟ فما ركبك أحد قط أكرم عند الله منه، فتصبب البراق عرقًا فهدأ، فركبه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فانطلق به إِلَىٰ المسجد الأقصى.

وصل النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ المسجد الأقصى فربط البراق في الحلقة الَّتِي يربط بها الأنبياء، دخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المسجد الأقصى وبصحبته جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فرأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأنبياء والمرسلين صفوفًا في المسجد الأقصى، أحياهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقدرته، فقدمه جبريل ليؤمهم في الصلاة.

ولما فرغ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصلاة بالأنبياء، أتاه جبريل بإناءين، إناء مملوء لبنًا والآخر فيه خمر، فقدمهما له جبريل، يقول: «**فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ**»، فقال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**لَقَدْ اخْتَرْتَ الفِطْرَةَ**».

ثُمَّ أخذ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بيد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعرج به إلى السماء الدنيا، فلما جاء إِلَىٰ السماء الدنيا قَالَ جبريل لخازن السماء: افتح.

قال: من هذا؟

قال: هذا جبريل.

قال: هل معك أحد؟

قال: نعم، معي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال: أأُرسل إليه؟

قال: نعم.

ففُتح، فلما فُتح باب السماء على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودخل، فإذا رجل قاعد، عن يمينه جمع من الناس وعن شماله جمع من الناس، إذا نظر إلى يمينه ضحك، وإذا نظر إلى شماله بكى، فقال: مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح.

قلت لجبريل: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا آدم، وَهٰذِه المجموعات أو الجمع عن يمينه وشماله هم نَسَمة بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والمجموعة التي عن الشمال أهل النَّار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن شماله بكى.

ثم عُرج به إِلَىٰ السماء الْثَّانِية، فاستفتح جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقيل: من أنت؟ قَالَ: جبريل، ومن معك؟ قَالَ: مُحَمَّد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قَالَ: قد بُعث إليه، ففُتح لهم فإذا هم بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا سلام الله عليهم، فرحبا به ودعوا له بخير.

ثم عُرج به إلى السماء الْثَّالِثة، فاستفتح جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قَالَ: محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قَالَ: قد بُعث إليه، ففُتح لهم فإذا هم بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذْ هو قد أُعطي شطر الحسن، فرحب به ودعا له بخير.

ثم عُرج بهم إِلَىٰ السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: مُحَمَّد، قال: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففُتح لهم، فإذا هم بإدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ، فرحب ودعا له بخير، ثُمَّ قرأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [سورة مريم:٥٧].

ثم عُرج بهم إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: مُحَمَّد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففُتح لهم، فإذا هم بهارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فرحب به ودعا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخير.

ثُمَّ عُرج بهم إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: مُحَمَّد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففُتح لهم، فإذا هو بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فرحب به ودعا له بخير.

ثم عُرج بهم إِلَىٰ السماء السابعة، فاستفتح جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففُتح لهم، فإذا هم بإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مُسندًا ظهره إِلَىٰ البيت المعمور، وإذ هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه(١).

فلما خلص النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقال جبريل: هذا أبوك فسلم عليه، فسلم عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال إبراهيم: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح.

يقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقِيتُ إبراهيمَ ليلةَ أُسْرِيَ بي، فقال: يا مُحمَّدُ أقْرِئْ أُمَّتَك منِّي السلامَ، وأَخبرْهم أنَّ الجنةَ طيبةُ التُربَةِ، عذْبةُ الماءِ، وأنَّها قِيعانٌ، وأنَّ غِراسَها: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ**»(٢).

---

(١) صحيح مسلم: (١٦٢).

(٢) سنن الترمذي (٣٤٦٢)، وحسنه، وقال ابن حجر في نتائج الأفكار (١/ ١٠٢): "وحَسَّنَه لشواهده".

ثم رُفع البيت المعمور للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم أُتي بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فأخذت اللبن، فقال جبريل: هي الفِطرة الَّتِي أنت عليها وأمتك.

ثم ذهب جبريل بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمارها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها.

ثُمَّ أُدخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجَنَّة، يقول: «**فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ**» أي قباب اللؤلؤ، «**وإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ**»(١).

ومما رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنة نهرًا حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفة، فَقَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذَا الكوثر.

ثم عُرج به حَتَّىٰ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَىٰ أَسْمَعُ فيه صَرِيفَ الأَقْلَامِ، فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَىٰ، فَفَرَضَ اللهُ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ**»(٢).

فلما نزل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التقى بموسى فَقَالَ: «**يَا مُحَمَّد مَا فَرَضَ اللهُ علَىٰ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: خَمْسُونَ صَلَاةً، قالَ: يَا مُحَمَّد ارْجِعْ إِلىٰ رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فإِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذلكَ، فإِنِّي قدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرائِيلَ وخَبَرْتُهُمْ**».

---

(١) صحيح البخاري: (٣٣٤٢)، ومسلم: (١٦٣).

(٢) المصدر السابق.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَرَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي، فَقُلْتُ: يا رَبِّ، خَفِّفْ علَىٰ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذلكَ، فارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ».

يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بيْنَ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ، وبيْنَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حتَّىٰ قالَ: يا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَواتٍ كُلَّ يَومٍ ولَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلاةٍ عَشْرٌ، فَذلكَ خَمْسُونَ صَلاةً، ومَن هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ له حَسَنَةً، ومَن هَمَّ بحَسَنَةٍ فَعَمِلَها كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، ومَن هَمَّ بسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها لَمْ تُكْتَبْ شيئًا، ومَن هَمَّ بسَيِّئَةٍ فَعَمِلَها كُتِبَتْ لَهُ سَيِّئَةً واحِدَةً».

يقول مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَنَزَلْتُ حتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فأَخْبَرْتُهُ، فقالَ: ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قدْ رَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي حتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ مِنْه»[1].

هنا هبط جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السماوات إِلَىٰ المسجد الأقصى، ثُمَّ ركب البراق وعاد إِلَىٰ مكة قبل الصباح.

هكذا انتهت تلك الرحلة العظيمة إِلَىٰ السماء السابعة، وحصل ما فيها ما حصل.

(١) صحيح مسلم: (١٦٢).

موقف قريش من حادثة الإسراء والمعراج

بعد عودة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من رحلة الإسراء والمعراج ووصوله إلى مكة قبل الصباح.

هنا جلس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حزينًا مهمومًا مغمومًا، خوفًا ألا يُصدقه قومه، وفي هذه اللحظات، يأتيه عدو الله أبو جهل فقال: يا مُحَمَّد أمن شيء؟ هل عندك شيء؟ قال محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نعم، قَالَ: وما هو؟ قال: أُسري بي إلى بيت المقدس، فقال أبو جهل: وأصبحت بين ظهرانينا؟ قال محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نعم، قال أبو جهل: وهل تقول هذا لقومك لو أخبرتهم؟ قال محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نعم(١).

هنا نادى أبو جهل في قريش، فاجتمعوا حول أبي جهل والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال أبو جهل عدو الله: يا مُحَمَّد أخبرهم بما أخبرتني.

فأخبرهم بأنه أُسري به إلى بيت المقدس، ثم عاد إلى مكة قبل الصباح، فأصبح البعض يصفق، والبعض يضع يده عَلَىٰ رأسه تعجبًا، فيقولون: يا مُحَمَّد ذهبت إلى بيت المقدس ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم.

وهذا الحدث قد أصبح فتنة عظيمة، وقد ارتد بعض من أسلم.

(١) رواه أحمد وصححه الألباني.

في هذه اللحظات، انطلق البعض إِلَىٰ أبي بكر، فقالوا: يا أبا بكر أما سمعت ماذا قال صاحبك محمد؟ قال: وماذا قال؟ قال: يقول أنه أُسري به إِلَىٰ بيت المقدس وعاد إلى مكة قبل الصباح، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنتم تكذبون عليه، قالوا: لم نكذب، ولكن هذا هو هناك، يُحدث الناس بهذه الحادثة.

قال أبو بكر: إن قال ذلك فقد صدق، وماذا تعجبون؟ إني لأصدقه بخبر السماء يأتيه غدوة وروحة، في الصباح والمساء، ألا أصدقه بذلك؟[1].

ثم انطلق أبو بكر ذلك الرجل المؤمن إِلَىٰ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والناس حوله، فقال: يا رَسُولُ اللَّهِ أقلت ذلك؟ قال محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نعم يا أبا بكر، فقال أبو بكر: صدقت يا رَسُولُ اللَّهِ.

هنا قال له النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وأنت يا أبا بكر الصديق، ومن ذلك اليوم لُقب أبو بكر بالصديق.

(١) السلسلة الصحيحة (٣٠٦).

الهجرة (١)

لما اشتد الكرب بالصحابة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم، واشتد الأذى بالقول والفعل والشتم، خاصة عندما علموا أن كثيرًا من الصحابة ممن أسلم ودخل في دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد هاجر إِلَىٰ المدينة، وسوف يُهاجر البقية، فاشتد الكرب والإيذاء.

هنا استأذن الصحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهجرة، فأذن لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمرهم بالهجرة إلى المدينة، وقال: «**إِنَّ اللهَ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَانًا وَدَارًا تَأْمَنُونَ بِهَا**»(١).

تتابعت هجرة الصحابة، وأول من هاجر: مصعب، وعبد الله ابن أم مكتوم رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم يعلمون أهل المدينة القرآن، ثم هاجر عمار وبلال وسعد، ثم عمر بن الخطاب ومعه عشرون من الصحابة، هكذا توالت هجرات الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم إِلَىٰ المدينة المنورة.

فلما رأى أبو بكر هجرة الصحابة إلى المدينة والفرار بدينهم، كان أبو بكر يكثر الاستئذان من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهجرة، فيقول له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَىٰ رِسْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، لَا تَعْجَل، لَعَلَّ اللهَ يَجْعَلُ لَكَ صَاحِبًا**»(٢)، وكان أبو بكر يطمع أن يكون صاحبه هو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخير الصحبة.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٨٠).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٨٩)، والمعجم الكبير للطبراني (٤٦٢)، الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١٠٩).

فلما تكاثرت الهجرة، استعد أبو بكر للهجرة إلى المدينة، هنا قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَىٰ رِسْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعَلَّ الله أَنْ يَأْذَنَ لِي بِالهِجْرَةِ إِلَىٰ المَدِينَةِ»، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وهل ترى ذلك يا رسول الله؟ قال: «نَعَمْ»(١).

هنا أبو بكر قام بتجهيز الدواب، وكانت عنده ناقتين يعلفهما من السمر، الذي هو الخبط، أربعة أشهر، حتى أذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهجرة إِلَىٰ المدينة.

رأت قريش أن الصحابة أصبحت لهم منعة بعد أن علموا أن هناك في المدينة من يُناصرهم، فأصبحت لهم دولة، وَهٰذَا ما أخافهم وأرعبهم، فجلسوا في دار الندوة يتآمرون ويتشاورون عَلَىٰ القضاء على هٰذِه الدولة الجديدة.

فطرحوا الآراء، منهم من قال: نعتقله ونضعه في الحديد ونحبسه كما حُبس غيره حتى يموت، فلم يعجبهم هٰذَا الرأي.

فقال الآخر: ننفيه خارج مكة، فلا نُبالي في أي مكان ذهب، فلم يرقَ لهم هٰذَا الرأي.

فتكلم رأس الكفر أبو جهل -لعنة الله عليه- فقال: الشورى عندي، والكلام عندي، والرأي عندي، قالوا: قل يا أبا الحُكم، قال: نأتي من كل قبيلة ومن كل قوم شابًا طريرًا قويًا نسبه عالٍ في قومه، وكل واحد منهم يأخذ السيف فيثبون وثبة واحدة عَلَىٰ محمد فيقتلوه،

(١) هذا مقتضاه وأصل الخبر أخرجه البخاري (٢٢٩٧)، بلفظ: «عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ».

فيتفرق دمه بين القبائل، فلا يستطيع بنو عبد مناف محاربتهم، ويرضون بالدية، وتفرقوا عَلَىٰ هذا الرأي(١).

هنا يخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبيه مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكر قريش وإرادة قتله أو إخراجه، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [سورة الأنفال:٣٠].

هنا أنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ [سورة الإسراء:٨٠]، هٰذِه الآية هي آية الإذن بالهجرة إِلَىٰ المدينة.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ألهم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعاء بهذه الآية، فكان له فتحًا ومخرجًا من الضنك والأذى، والهجرة إِلَىٰ المدينة المنورة.

في هذه اللحظات كان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يستعد للهجرة إِلَىٰ المدينة لوحده بعد أن اشتد عليه الأذى والشتم والتعذيب لينجو بدينه، فأتاه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**عَلَىٰ رِسْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي بِالهِجْرَةِ إِلَىٰ المَدِينَةِ**»، فقال أبو بكر: أتظن ذلك؟ قال: «**نَعَمْ**»(٢).

فهنا أبو بكر انتظر مع رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجعل يرتب وضع الهجرة، ويُعدد للهجرة المال والدواب، فكان لأبي بكر ناقتان يعلفهما حَتَّىٰ يحين وقت الهجرة.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٩٤)، البداية والنهاية (٣/ ١٨٩).

(٢) المصدر السابق.

وفي يوم من الأيام في وقت الظهيرة، يأتي النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في موعد لم يأتِ به من قبل -أي وقت ظهيرة-، فطرق الباب، ففتح له أبو بكر، فقال: أخرج من عندك في البيت، فقال: إنما هما أهلك يا رَسُولُ اللَّهِ، أي عائشة، وكذلك ابنته أسماء.

فبين له أنه قد أُذن له بالهجرة إِلَىٰ المدينة، هنا قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الصحبة يا رَسُولُ اللَّهِ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصاحبه وحبيبه أبي بكر: نعم الصُحبة يا أبا بكر(١).

وكان عند أبي بكر ناقتان يعلفهما ويقويهما لهذه الهجرة، فأعطى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إحداهما وهي الجدعاء.

استأجر النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا خريتًا هاديًا هو: عبد الله بن أريقط، ليساعدهم في الهجرة إِلَىٰ المدينة، كان خريتًا هاديًا يعرف الطرق، فاستأمناه وكان عَلَىٰ دين قريش كافرًا، فأعطياه المال ودفعا له الناقتين، وواعداه في غار ثور بعد ثلاث ليالٍ(٢).

(١) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٩٠٥).

الهجرة (٢)

وبعد أن اتفق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر عَلَىٰ أمر الرحلة، وقد استأجرا ذلك الخريت الهادي عبد الله بن أريقط ليصاحبهم في السفر حَتَّىٰ يوصلهم إِلَىٰ المدينة المنورة، وقد أعطياه الناقتين واتفقا معه ليلتقي بهما بعد ثلاث ليالٍ في غار ثور.

عاد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ بيته ينتظر الليل، وكان يعلم بمكر قريش وما أرادوا به كما أخبره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهنا دخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ البيت، وأتى أولئك النفر من كفار قريش يُحاصرون بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وينظرون من فتحات الباب حَتَّىٰ يثبوا عَلَىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما جن الليل، أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليّ بن أبي طالب أن ينام في فراشه وأعطاه الشملة حَتَّىٰ يلتحف بها.

هنا خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بين أيدي أولئك الكفار، وقد أعمى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أبصارهم، فخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخذ حفنة من التراب، فوضع من التراب على كل رأس شخص كان على الباب، وهو يتلو: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [سورة يس:٩]، فخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١].

(١) سيرة ابن هشام (٢/٩٧)، الطبقات الكبرى لابن سعد (١/١١٠).

ثُمَّ أتى شخص فقال: تبًا لكم! خرج محمد وأنتم لا ترون، فقالوا: كيف خرج ونحن لم نره؟ قال: انظروا إِلَىٰ الرمل فوق رؤوسكم، خرج ووضع الرمل على رؤوسكم وذهب، فتحسسوا رؤوسهم فإذا الرمل على رأس كل شخص.

فتحسسوا الباب فرأوا شخصًا نائمًا، قالوا: هذَا محمد، هذَا محمد مشتمل شملته، فلما فتحوا الباب ودخلوا فأزالوا الشملة فإذا عليّ بن أبي طالب، فقالوا: أين محمد؟ فقال علي بن أبي طالب: لا أدري.

في هذه اللحظات يصل الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِلَىٰ أبي بكر في تلك الليلة، فدخل عَلَىٰ أبي بكر فقال: الآن يا أبا بكر، وكان أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قد جهز جميع أمور تلك الرحلة من المال والطعام والدواب[1].

فخرجوا واتجهوا جنوبًا يعني عكس الطريق، المدينة في الشمال، الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ اتجه إِلَىٰ الجنوب حَتَّىٰ يخدع قريش، فاتجهوا إِلَىٰ غار ثور، فباتوا فيه ثلاث ليالٍ[2].

في هذه الرحلة الميمونة كان آل أبي بكر يخدمون الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأبا بكر في هذه الرحلة وخاصة في الغار، فعبد الله بن أبي بكر كان يأتيهم بليل فيبيت عندهم، وقبل الفجر يأتي إلى مكة فيكمن هناك حتى يظنون أنه قد بات في مكة، فيأتي بالأخبار إلى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأبيه أبي بكر.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٩٠٥).

(٢) الرحيق المختوم (١٦٤).

فإذا أتى اَللَّيْل ذهب إلى الغار فبات معهم، فإذا أتى قبل الفجر رجع إلى مكة واستمع الأخبار وعاد إلى الغار في الليل يُخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، وذلك في تلك الليالي الثلاث.

كذلك أسماء بنت أبي بكر كانت تأتيهم بالطعام، وكانت تبحث عن شيء تضع فيه الطعام، فقالت لأبي بكر: يا أبتِ ليس عندي شيء أضع فيه الطعام، ولكن ليس عندي إلا هذا النطاق، فقال لها أبو بكر: شقي ذلك النطاق شقين، واحملي في أحدهما الطعام، فسُميت بذات النطاقين.

كذلك عامر بن فهيرة راعي الأغنام لأبي بكر، كان يأتيهم ليلًا ويعطيهم من الحليب واللبن، فإذا أتى قبل الفجر اتجه إلى منطقة الرعاة خارج مكة فيظنون أنه قد بات معهم. وفي ذهابه وعودته يمشي عَلَىٰ آثار عبد الله بن أبي بكر وأسماء حَتَّىٰ يُفني هذه الآثار حتى لا ينتبه إليهم أحد[1].

هكذا كانت أهل أبي بكر وعماله، كانوا في خدمة تلك الهجرة العظيمة.

هنا خرجت قريش عن بكرة أبيها للبحث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه أبي بكر، وخرج معهم القافة، وهم أناس يتبعون الأثر ويفرقون بين أثر فلان وفلان، وقد جعلوا هدية عظيمة لمن أتى بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه مقتولين أو أسيرين، جعلوا هدية قدرها مئة ناقة، والله غالب على أمره.

خرج المشركون يبحثون عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه حتى وصلوا إلى غار ثور، ووقفوا على فم الغار، وأبو بكر ينظر إليهم وينظر إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٩٠٥).

لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ يا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟!**»(١).

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [سورة التوبة:٤٠]، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد صرف نظر وعقل أولئك الناس عن النظر في ذلك الغار انتصارًا لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتلك كانت معجزة عظيمة.

أقام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثلاث ليالٍ في ذلك الغار حتى خمد طلب قريش للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفقدوا الأمل(٢).

بعد ثلاث ليالٍ يأتي عبد الله بن أريقط بالراحلتين إِلَىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأتى عامر بن فهيرة فصاحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر إلى المدينة، وسلك بهم طريق الساحل، وكانت المسافة بين غار ثور والمدينة خمسة عشر يومًا.

هنا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة وعبد الله بن أريقط، فسلك طريق الساحل، ومشوا ما يُقارب اثني عشر يومًا أو خمسة عشر يومًا حَتَّىٰ وصلوا إلى قباء، فنزلوا هناك، وقد حدثت أحداثٌ في هذه الرحلة.

(١) صحيح البخاري: (٣٦٥٣)، ومسلم: (٢٣٨١).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٦٢٧٧).

الهجرة (٣)

لما يئست قريش من العثور على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وصاحبه جاء رجل إلى أحد المجالس، وكان في هذا المجلس سراقة بن مالك، فقال: يا سراقة إني رأيت أناسًا متجهين إلى البحر وأظنهم محمد وأصحابه.

فقال سراقة: لا أظن ذلك، لعلها فلان وفلان، فإنهما ذهبا إلى هناك، وسراقة يعلم يقينًا أنهما مُحَمَّد وأصحابه، يُريد الجائزة.

فجلس ساعة ثم انطلق إلى بيته فأخذ الخيل واتجه إلى البحر، فلقي محمدًا وأصحابه، فانطلق إليهم فعثرت الخيل وسقطت وسقط من فوقها، فأخرج كنانته وأخرج الأزلام منها وضرب الأزلام فخرج ألا تفعل.

ثم خالف الأزلام وركب الخيل واتجه إِلَىٰ محمد وأصحابه، فعثرت الخيل وسقط من على الخيل، فقام وركب الخيل وأخرج كنانته وأخرج الأزلام، فضرب الأزلام وأخرج أحدها فإذا هي لا تفعل.

فانطلق سراقة حَتَّىٰ اقترب من النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فسمع قراءة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وكان لا يلتفت أبدًا، وأبو بكر كان يلتفت كثيرًا، هنا دعا عليه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فساخت قدما الفرس حَتَّىٰ نصف القدمين حَتَّىٰ ركبتيها، وفي رواية: أنها ساخت إلى صدرها؛ أي دخلت في الأرض، أرض يابسة ومع ذلك دخلت وسقط منها سراقة.

هنا علم سراقة أن محمدًا على الحق، فقال: يا مُحَمَّد أعطني الأمان، يا مُحَمَّد أعطني الأمان ولا أضرك، فدعا له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخرجت قدما الخيل كأن يخرج منها الدخان.

هنا سراقة بن مالك قدم بعض المؤن -الطعام- إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر ومن معه، فرفض ذلك الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: يا سراقة فقط نُريد أن تخذل عنا، وألا تخبر عنا أبدًا[1].

فقال لهم سراقة بن مالك: أفعل، فسبحان الله في الصباح خرج سراقة يبحث عن محمد للقبض عليه، وفي آخر النهار يعود سراقة بقلب آخر، يعود بقلب آخر وهو يُدافع عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويُخذل عنه.

ومن الأحداث التي حدثت في طريقهم إلى المدينة: أنهم مروا بخيمة أم معبد الخزاعية، فدخلوا عليها، فإذا هي في فناء الخيمة، فدخلوا عليها ليشتروا منها لحمًا وغيره، فلم يجدوا بغيتهم.

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أعندك لبن؟ قالت: لا، فنظر فإذا شاة في زاوية الخيمة، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما هذه الشاة؟ قالت: هذه الشاة أصابها من الجهد ما لم يسعفها أن تلحق بصاحباتها أي الشياة، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أتسمحين لي أن أحلبها؟ فقالت أم معبد: بأبي وأمي إن كان فيها حلبًا فاحلبها.

(١) صحيح البخاري: (٣٦١٥)، ومسلم: (٢٠٠٦).

فأُتيت إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمسك الضرع ودعا الله وسمى، ففحجت الشاة؛ أي باعدت بين قدميها وامتلأ الضرع لبنًا، فأمر أن يُؤتى بإناء كبير يكفي الرهط، وهم تسعة فما أقل.

فبدأ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحلبها حليبًا غزيرًا يعلوه الرغوة، فلما امتلأ الإناء أعطاه أم معبد فشربت حتى ارتوت، وأعطى أصحابه فشربوا حتى ارتووا، ثم شرب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو بأبي وأمي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ثم لما انتهوا حلبها مرة أخرى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم بايع أم معبد، ثم ارتحل وأصحابه إلى المدينة.

غزوة بدر (١)

ومن القصص التي خلدها التاريخ: تلك القصة الَّتِي غيرت مجرى التاريخ: يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان.

وصل خبر إِلَىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن هناك قافلة راجعة من الشام إلى مكة وفيها أموال طائلة، يقودها أبو سفيان، وفيها ثلاثون أو أربعون رجلًا.

فأرسل بُسَيسَة، وفي رواية: بَسْبَسَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن يذهب ويأتي بخبر تلك العير، انطلق بسيسة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حتى وصل إلى تلك القافلة، فرأى ما بها وأعدادهم، ثم عاد إلى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ودخل عليه في بيته وأخبره بالتفاصيل.

هنا النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خرج ونادى في المسلمين: «**مَنْ كَانَ لَهُ ظَهْرٌ حَاضِرٌ**»؛ أي دابة من الإبل وغيرها، «**فَلْيَأْتِ مَعَنَا، فَإِنَّ لَنَا طَلَبًا**»(١).

قال بعض الصحابة: يا رَسُولُ اللَّهِ إن لنا ظهرًا في أعالى المدينة نأتي بها، قال: فقط من له ظهرٌ حاضر، حتى يلحقوا على تلك القافلة(٢).

خرج النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من المدينة يوم السبت الثاني عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة، وخَلَف ابن أم مكتوم في المدينة ليُصلي بالناس، ولما انتصف الطريق أعاد أبا لبابة ليستعمله على المدينة.

---

(١) صحيح مسلم (١٩٠١)، بلفظ: «إِنَّ لَنَا طَلِبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا».

(٢) سيرة ابن هشام (٢/٢١٨).

وخرج مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا من المهاجرين والأنصار وغيرهم، وكان مع المسلمين سبعون بعيرًا يتناوبون عَلَىٰ ركوبها، وكان معهم فرسٌ واحد فقط للمقداد بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

قام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتوزيع الرايات، فأعطى اللواء لمصعب بن عمير، وراية المهاجرين لعلي بن أبي طالب، وراية الأنصار لسعد بن معاذ، وجعل في الساقة قيس بن أبي صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ[2].

بلغ أبا سفيان أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج من المدينة يُريد العير، هنا أرسل أبو سفيان ضمضم الغفاري إلى مكة ليُخبر أهلها أن محمدًا خارج يُريد عيرهم وأموالهم، فلما وصل إِلَىٰ مكة وأخبر كفار قريش بذلك، غضبوا غضبًا شديدًا، وعلى رأسهم رأس الكفر أبو جهل.

فجهزوا جيشًا لملاقاة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فخرج جميع أشراف قريش وصناديدهم، إلا أبو لهب، وخرجت قريش بأشرافها وصناديدها على قوام ألف رجل ومئة فرس وجِمال كثيرة لا تُعد ولا تحصى.

لما بلغ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خروج قريش لملاقاته وقتاله، هنا استشار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحابة، وقد علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الأنصار بايعوه على أن يمنعوه ويدافعوا عنه في المدينة، هنا قال: أشيروا عليَّ يا قوم.

---

(١) صحيح البخاري (٣٩٥٩).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٢٤).

فتكلم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأعرض عنه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم تكلم عمر فأحسن الكلام فأعرض عنه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم تكلم المقداد بن عمرو، ذلك الفارس، فَقَالَ: والذي بعثك بالحق لن نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [سورة المائدة:٢٤]، بل اذهب ونحن معك بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك، يا رَسُولُ اللَّهِ لن ترى منا إلا خيرًا، اذهب حتى يفتح الله عليك[١].

فسُرّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكلام المقداد بن عمرو، ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَشِيرُوا عَلَيَّ يَا قَوْم**»، وهذه المرة الرابعة.

هنا تكلم سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا رَسُولُ اللَّهِ كأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَجَلْ يَا سَعْد**»، فقال: يا رسول الله، إنا بايعناك وآمنا بك وصدقنا بما أتيت به، فوالله لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ولن يتخلف عنك رجل واحد أبدًا، فسر يا رسول الله على بركة الله[٢].

هنا سُرّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفرح بكلام سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سِيرُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّ الله قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مَصَارِعِ القَوْمِ**»[٣].

(١) صحيح البخاري (٤٦٠٩).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٢٧).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٨٨)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٤)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٧١): "وله شواهد من وجوه كثيرة".

غزوة بدر (٢)

بعد أن علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخروج قريش بصناديدها لملاقاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هنا استشار الصحابة عن هذا الأمر، فتكلم أبو بكر فأحسن الكلام، فأعرض عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم تكلم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأحسن الكلام، ولكن أعرض عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك، وتكلم المقداد كلامًا عظيمًا سُرّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الكلام، ومع ذلك أعرض عنه.

هنا قام سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا رَسُولُ اللَّهِ لعلك تقصدنا نحن معشر الأنصار؟ قال: نعم يا سعد، فقال سعد: يا رسول الله، إنا آمنا بك وصدقناك واتبعناك وأعطيناك العهود والمواثيق، فوالذي نفسي بيده لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، فسِر على بركة الله.

هنا فرح النبي وسُرَّ سرورًا عظيمًا بكلام سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هنا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سِيرُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّ الله قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ**»[1]؛ أي العير التي فيها المال أو صناديد قريش، «**فَإِنَّ الله قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ**».

هنا سار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجيشه حتى نزل بالعدوة الدنيا بالقرب من بدر، ونزلت قريش بالعدوة القصوى، ولا أحد يدري عن الآخر أين نزل.

---

(١) المصدر السابق.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [سورة الأنفال:٤٢].

سار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بئر بدر ليسبق المشركين ليحول بينهم وبين الاستيلاء عليه، فنزل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجيشه على هذا البئر وهو من أفضل آبار بدر، في هذا المكان بنى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عريشًا على تل مرتفع ليشرف منه على أرض المعركة، وكان فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١).

وفي ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان -ليلة المعركة-، نزل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعبئ جيشه للمعركة، وقام يمشي في أرض المعركة ثم يُشير بيده: هذا مكان مصرع فلان غدًا، وهذا مكان مصرع فلان غدًا إِنْ شَاءَ اللهُ.

يقول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فوالله ما أماط أحدهم؛ أي ممن أشار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكان مصرعه، يقول: ما أماط أحدهم مكانه الذي ذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢).

في ليلة المعركة أصاب المسلمين نعاس عجيب: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [سورة الأنفال:١١]، عندما رأى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه كثرة المشركين وقع الخوف في قلوب الصحابة، فأنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذَا النعاس أمنة منه على الصحابة.

---

(١) صحيح البخاري (٤٨٧٧).

(٢) صحيح مسلم (١٧٧٩).

حتى أن أبا طلحة يقول: أنا ممن أصابه ذلك النعاس، فأخذ سيفي يسقط من يدي ثم آخذه فيسقط، يقول: ما منا أحد إِلَّا وأصابه النعاس إِلَّا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان تحت شجرة يُصلي ويبكي يريد النصر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[1].

فلما أصبح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك يوم الجمعة السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة، قام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصف أصحابه وتعديل الجيش وتعبئته للقتال، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَتَقَدَمَنَّ أَحَدُكُم إِلَىٰ شَيْءٍ حَتَىٰ آذَنَهُ**»[2].

في هٰذِه اللحظات تنزل قريش أرض المعركة وتصف الصفوف وتجهز مقاتليها لملاقاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، هنا رفع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده فقال: «**اللهم هٰذِه قُرَيْشٌ أَتَتْ بِخَيْلَائِهَا وَفَخْرِهَا، تُحَادُّكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ، اللهمَّ نَصْرَكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي**»[3].

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٣٥٧)، وابن حبان في صحيحه (٧١٨٠).

(٢) صحيح مسلم (١٩٠١)، بلفظ: «لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ».

(٣) مغازي الواقدي (١/ ٥٩)، وأصله في صحيح مسلم (١٧٦٣).

غزوة بدر (٣)

ولما استقرت قريش على أرض المعركة: طلبت المبارزة، وهذا هو ديدن المعارك في ذلك الزمان، قبل أن تبتدئ المعارك يخرج أناس للمبارزة، فبرز من قريش عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، فقالوا: من يُبارز؟

فخرج من المسلمين ثلاثة شباب من الأنصار، فلما برزوا وخرجوا لعتبة وشيبة والوليد، قالوا: لا نريد هؤلاء، نريد أعمام بني عبد المطلب، نريد أصحابنا من قريش.

هنا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قم يا حمزة، قم يا عبيدة، قم يا علي.

فبرز أولئك الشجعان، فبارز حمزة عتبة فقتله، ثُمَّ بارز عبيدة شيبة فقتله، ولكن أُصيب إصابة في قدمه، وبارز عليَّ بن أبي طالب الوليد بن عتبة فقتله، فكانت بداية معركة الفرقان بدر الكبرى(١).

حمي الوطيس، اشتد القتال، تشابكت الأيدي والسهام والرماح والسيوف، اشتد الوطيس في تلك اللحظات، هناك في ذلك الجانب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رافع يديه إلى السماء يدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: «**اللهم أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهم آتني مَا وَعَدْتَنِي، اللهم إِنْ تَهْلَك هٰذِه العِصَابَةُ مِنَ المُسْلِمِينَ لَا تُعْبَدُ فِي الأَرْضِ**».

(١) رواه أحمد في مسنده (٩٤٨)، وابن سعد طبقاته (٢/٢٥٧).

وكان مادًا يديه إلى السماء فسقط رداؤه، فأتى أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأعاد الرداء إلى منكبيه، وضم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلفه فقال: يا رَسُولُ اللَّهِ كفاك مناشدة، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سوف ينجزك ما وعدك(١).

بعد هذا الدعاء والاستغاثة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أغفى إغفاءة ثم أفاق ثم قَالَ: «**أَبْشِرْ يَا أَبَا بكر، هٰذَا جِبْرِيلُ وَهٰذَا خَيْلُهُ يُثِيرُ الغُبَار**»(٢).

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ [سورة الأنفال].

ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [سورة الأنفال:١٢].

فلما أنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ملائكته، خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العريش وقال: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [سورة القمر:٤٥]، ثُمَّ أخذ حصباء من الأرض فرماها في وجوه الكفار وَقَالَ: شاهت الوجوه! شاهت الوجوه! فما بقيت عين من الكفار وإلا دخلها الحصباء(٣).

---

(١) صحيح البخاري (٣٩٥٣).

(٢) صحيح البخاري (٣٩٩٥)، بلفظ: «هَذَا جِبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ».

(٣) رواه الطبراني في المجموع (٦/ ٨٤) وإسناده صحيح.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [سورة الأنفال:١٧].

أنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نصره عَلَىٰ المؤمنين، ومنح أكتاف الكفار لهم قتلًا وأسرًا، قُتل من المشركين سبعون وأُسر سبعون، وممن قُتل: أبو جهل رأس الكفر، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وكثير من كفار قريش(١).

بعد انتهاء المعركة أمر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بإلقاء جثث الكفار في أحد آبار بدر، ثم مكث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثلاثة أيام في بدر، ثم في اليوم الثَّالِث أمر بدابته فشدوا عليها الرحال، ثُمَّ انطلق حتى وصل إلى البئر الذي رُمي به الكفار.

ثم قام يُنادي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**يَا أَبَا جَهْلٍ، يَا عُتْبَة بن رَبِيعة، يَا شَيْبَة بن رَبِيعَة، يَا وَلِيد بن عُتْبَة، يَا أُمَيَّة بن خَلَف، هلْ وجَدْتُمْ ما وعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي وجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا**».

هنا عمر بن الخطاب أتى إلى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: يا رَسُولُ اللَّهِ كيف تكلم هؤلاء وهذه الجيف؟ قَالَ: «**يَا عُمَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْتَ بِأَسْمَعَ مِنْهُم! وَلَكِن لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُوا**»(٢).

(١) صحيح البخاري (٣٩٨٦)، ومسلم (١٧٦٣).

(٢) صحيح البخاري (١٣٧٠).

استشهد من الصحابة أربعة عشر رجلًا: ستة من المهاجرين، وستة من الخزرج، واثنان من الأوس، يوم الفرقان يوم التقى الجمعان.

هذه معركة بدر الكبرى التي غيرت مجرى التاريخ.

فتح مكة (١)

ومن القصص الَّتِي خلدها التاريخ: قصة غزوة الفتح الأكبر.

وكان سبب تلك الغزوة، أنه عندما عُقد صلح الحديبية كانت هناك بنود وشروط، ومنها: من أراد أن يدخل في عقد وعهد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل، ومن أراد أن يدخل في عقد وعهد قريش دخل.

هنا وثبت خزاعة وقالوا: نحن ندخل في عقد وعهد مُحَمَّد، في هذه اللحظات تثب بنو بكر فقالوا: ونحن نكون في عقد وعهد قريش.

مرت سبعة عشر أو ثمانية عشر شهرًا، وفي تلك الليلة وثب بنو بكر عَلَىٰ ماء لخزاعة يُسمى: الوتير، علمت قريش بذلك، وكان ليلًا، ففزعوا لبني بكر حلفائهم، وقالوا: الأمر في الليل ولن ينتبه مُحَمَّد ولا أصحابه، فأعانوهم بالخيل والسلاح بغضًا لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١].

فلما حدث ما حدث من نقض العهد من بني بكر ومساعدة قريش لهم، انطلق عمرو بن سالم الخزاعي إِلَىٰ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة، فلما وصل أخبره بما حصل، وذكر قصيدة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هنا رد عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: نُصرت يا عمرو بن سالم.

هنا أرسل النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقريش في مكة، فقال: إما أن تتبرأوا من بني بكر، أو تؤدوا الدية لقتلى خزاعة، أو الحرب، هنا قريش ركبت رأسها فقالوا: القتال[٢].

---

(١) أخرجه ابن اسحاق في السيرة (٤/٣٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/٦).

(٢) ذكره الحافظ في الفتح (٨/٣١٧).

هنا أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتجهيز الجيش والانطلاق إلى مكة، وسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يُعمي عن قريش الأخبار، فأرسل إلى القبائل للتجهز، ولم يدرِ عن الجهة التي يريدها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا كبار الصحابة، فتجهزوا للانطلاق إِلَىٰ مكة.

في هذه الأثناء يرسل حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطابًا إلى قريش يخبرهم بنية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغزو مكة، علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك الأمر، فأمر علي بن أبي طالب والزبير والمقداد، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اذْهَبُوا إِلَىٰ رَوْضَةَ خَاخٍ، فإنَّ بهَا ظَعِينَةً**»؛ أي امرأة، «**مَعَهَا خِطَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا**».

فانطلقوا، فلما وصلوا إلى روضة خاخ فوجدوا الظعينة، قالوا لها: أخرجي الخطاب، قالت: ليس عندي شيء، قالوا: أخرجيه وإلا نزعنا الثياب، هنا خافت المرأة فأخرجت الورقة من ضفائر شعرها، فانطلقوا بالخطاب إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقرأه، وكان في ذلك الخطاب من حاطب بن أبي بلتعة إِلَىٰ أناس من مكة: إن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينوي غزو مكة.

هنا التفت النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ حاطب فقال: «**يا حَاطِبُ ما هٰذَا؟**»، فَقَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسولَ اللَّهِ، إِنِّي والله لم أرتد عن ديني، ولم أرضَ بالكفر بعد إسلامي، ولكن أنا كنت في مكة من أحلافهم وليس من أهل مكة أصلًا، وأصحابك لهم أنسابهم وأهليهم، فأردت أن أفعل ذلك الفعل حتى يكون لي يد في مكة، فإن لي هناك أهل ومال، قَالَ: «**أَمَّا هٰذَا فَصَدَق**».

هنا قام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يا رَسُولُ اللَّهِ دعني أقطع عنق ذلك المنافق، فالتفت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ عمر فَقَالَ: «**يَا عُمَرُ إِنَّه شَهِدَ بَدْرًا، وَلَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ إِلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: افْعَلُوا مَا شِئْتُمْ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[1].

---

(١) صحيح البخاري: (٣٠٠٧)، ومسلم: (٢٤٩٤).

خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المدينة إلى مكة ومعه عشرة آلاف مقاتل، عَلَىٰ رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه إِلَىٰ المدينة المنورة، فلما بلغ ما بين عُسفان وقديد، نزل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك المكان، ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما دنا من مكة: «**إِنَّكُمْ دَنَوْتُمْ مِن عَدُوِّكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَىٰ لَكُمْ**»، فأفطر البعض وصام البعض.

ثم عندما اقتربوا، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَدُوِّكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَىٰ لَكُمْ، فأَفْطِرُوا**»[1]، فكانت عزيمة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأفطر الصحابة.

(١) صحيح مسلم: (١١٢٠).

فتح مكة (٢)

اقترب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة المكرمة، فأمر الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يركز رايته بالحجون، وأمر خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالدخول من طريق كداء من أعالي مكة، ودخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كداء[١].

هنا أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمراء جيشه بألا يقتلوا أحدًا إِلَّا من قاتلهم، واستثنى أربعة رجال وامرأتين، منهم: عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن أبي السرح، قال: «**اقْتُلُوهُم وَلَوْ كَانُوا مُتَعلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الكَعْبَةِ**»[٢]، اقتلوهم ولو رأيتموهم تعلقوا بأستار الكعبة.

دخلت كتائب المسلمين كما أمرهم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبالمقابل خرج عليهم أوباش قريش، هنا نادى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا هريرة فَقَالَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَة، اهْتِفْ لي بالأَنْصَارِ، وَلَا يَأْتِينِي إِلَّا أَنْصَارِيٌّ**».

فذهب أبو هريرة فناداهم، فأتى الأنصار يطوفون حول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَرَوْنَ أُولَئكَ الأَوْبَاشِ وَأَتْبَاعِهِمْ؟**»، فوضع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدًا عَلَىٰ يد فَقَالَ: «**احصُدُوهُمْ حَصْدًا حتَّىٰ تُوَافُونِي بالصَّفَا**».

---

(١) النهاية (٤/١٣٦).

(٢) سنن النسائي (٤٠٦٧)، وقال ابن حجر في مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد (٢/ ٤٢): "رجاله ثقات".

دخل المسلمون إِلَىٰ مكة فما وجدوا أحدًا يُريد قتالهم إِلَّا قتلوه، هنا قال أبو سفيان: يا رَسُولُ اللَّهِ أُبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، فقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ دَخَلَ بَيْتَهُ فَهُو آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ بَيْتَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ**»(١)، فغلق الناس أبواب بيوتهم فأمنوا ذلك اليوم.

دخل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من أعالي مكة من جهة كداء راكبًا ناقته، وحوله أصحابه من المهاجرين والأنصار، وكان على رأسه المغفر.

دخل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مطأطئ الرأس حَتَّىٰ كاد أن يصل رأسه إلى مقدمة الرحل تواضعًا لربه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وكان يقرأ سورة الفتح.

لما دخل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِلَىٰ مكة اتجه إلى الكعبة فاستلم الحجر الأسود، ثم طاف حول الكعبة، وأتى إِلَىٰ صنم بجانب الكعبة فأشار إليه بقوسه فضرب عينه، وقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ**»(٢).

ثُمَّ عندما انتهى من الطواف اتجه وصعد إِلَىٰ الصفا، فحمد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ودعاه بما شاء أن يدعو صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

عندما دخل النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِلَىٰ مكة، كان حول البيت ما يُقارب ٣٦٠ نصبًا يُعبد من دون الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وكان بيد النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذلك القوس، وكان يطعنها كلما مر

(١) صحيح مسلم: (١٧٨٠).

(٢) المصدر السابق.

بتلك الأنصاب، فيقول: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١﴾ [سورة الإسراء]، ويرددها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويطعن بتلك الأنصاب.

أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يؤتى بمفاتيح الكعبة من عثمان بن طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فدخلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمر بطمس جميع التصاوير الَّتِي داخل الكعبة، هنا أذن بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من فوق الكعبة، ثُمَّ أقر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عثمان بن طلحة بالسدانة.

لما استقر الأمر للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اتجه إلى الكعبة ووقف على درج الباب وخطب بالناس فَقَالَ: «**الله أكبر، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحْدَهُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحْدَهُ، صَدَقَ وعْدَهُ، ونَصَرَ عَبْدَهُ، وهَزَمَ الأَحْزَابَ وحْدَهُ**»(١).

فلما انتهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خطبته، مسك بعضادتي الباب فقال لأهل مكة: «**مَا تَقُولُونَ؟**»، فيقول أهل مكة: ابن أخ كريم، وابن عم كريم، فيعيد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السؤال، فيعيدون ذلك الكلام، هنا يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسف:** ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [سورة يوسف:٩٢]»(٢)، فانطلق الناس يُبايعون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ هٰذَا الدين العظيم.

هكذا كان ذلك الفتح الأعظم، فتح مكة المكرمة، وتطهيرها من الأصنام وما يُعبد من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يسكن مكة إلا مسلم.

---

(١) سنن أبي داود (٤٥٤٩)، والنسائي (٤٧٩٩)، وابن ماجه (٢٦٢٨)، وصححه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام (٥/ ٤١٠).

(٢) السنن الكبرى للنسائي (١١٢٣٤)، والسنن الكبرى للبيهقي (١٨٢٧٥)، وضعفه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء = المغني عن حمل الأسفار (ص١٠٨٠).

جيش الأمراء (١)

جيش الأمراء، وما أدراك ما جيش الأمراء، ما هو هذا الجيش؟ ولماذا سُمي بهذا الاسم؟

بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جيشًا في السنة الثامنة للهجرة في جمادى الأول، فقال: «**عَلَيْكُم زَيْدُ بن حَارِثَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَر فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ**»[١]، ولذلك سمي بجيش الأمراء.

بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحارث بن عمير الأزدي برسالة إِلَىٰ ملك بُصرى، فلما بلغ مؤتة، عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله، أي قتل رسول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يُقتل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول غيره[٢].

لما بلغ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقتل الحارث بن عمير الأزدي، أمر الناس بالخروج لقتال الروم والغساسنة، فأمَّر على الجيش زيد بن حارثة، فقال: «**عَلَيْكُم زَيْدُ بن حَارِثَة، فَإِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ، فَإِنْ قُتِلَ جَعْفَر فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ».

عقد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لواءً أبيضًا لذلك الجيش ودفعه لزيد ابن حارثة، ثم قال: انطلقوا إلى موقع مقتل الحارث بن عمير الأزدي، ألا وهي مؤتة، فإن أنتم وصلتم إلى ذلك المكان، أول ما تدعون الناس إلى الإسلام، فإن هم أبوا فاستعينوا بالله وقاتلوهم.

---

(١) صحيح البخاري (٤٢٦١).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٣١٤).

وكان ممن في ذلك الجيش سيف الله المسلول خالد بن الوليد، وكانت هي أول المشاهد لخالد في الإسلام.

انطلق ذلك الجيش المسلم -جيش الأمراء- إلى عدوهم في الشام، فلما وصلوا إلى معان، بلغهم أن هرقل ملك الروم قد نزل في مآب في البلقاء، وكان قوام جيش الروم مئة ألف مقاتل، وجيش الأمراء ثلاثة آلاف مقاتل، وقد التحق بالروم نصارى العرب، وكانوا يعادلون ذلك العدد حَتَّى بلغ عدد الروم والغساسنة مئتي ألف مقاتل مقابل ثلاثة آلاف مقاتل من المسلمين(١).

صُدم المسلمون بذلك الجيش العظيم، فباتوا ليلتين وتشاوروا فيما بينهم، فقالوا: نبعث إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الأمر وذلك الجيش العظيم، إما أن يرسل لنا مددًا أو يأمرنا بأمر ما.

هنا تدخل عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: إن التي تكرهون هو الذي تطلبون، ألا وهي الشهادة، إننا لا نقاتل بقوة ولا عدد، ولكننا نقاتل بهذا الدين العظيم، ألا وهو الإسلام، إما ظهور وانتصار، أو شهادة في سبيل الله.

فوافق القوم على قول عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعزموا قتال النصارى ومن معهم من العرب(٢).

---

(١) سيرة ابن هشام (٤/٢٢).

(٢) المصدر السابق

انطلق جيش الأمراء إلى أرض العدو حَتَّىٰ إذا بلغوا تخوم البلقاء، لقيهم الروم ومن معهم من الغساسنة وغيرهم بقرية يُقال لها: المشارف، أو قرية مشارف، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يُقال لها: مؤتة، فالتقى الناس.

فهنا قسَّم المسلمون جيشهم، فجعلوا على ميمنتهم قطبة بن قتادة، وعلى ميسرتهم عباية بن مالك الأنصاري[1].

التقى الجيشان وبدأت تلك المعركة العظيمة، ثلاثة آلاف مقاتل من المسلمين بمقابل مئتي ألف مقاتل من الروم والغساسنة، ولكن إذا هبت رياح الجَنَّة فإن الموازين تتغير.

(١) سيرة ابن هشام (٤/٢٥).

جيش الأمراء (٢)

أخذ الراية زيد بن حارثة حِبّ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فانطلق يُقاتل بكل قوة وشجاعة وبسالة، والمسلمون يُقاتلون معه، حتى طُعن بالرماح فخر شهيدًا ذلك البطل المغوار.

لما سقطت الراية من زيد بن حارثة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، حمل الراية جعفر بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقام بالقتال بكل شجاعة، شجاعة منقطعة النظير، حتى إِذَا التحمت الصفوف والأجساد نزل من فرسه فعقرها، فكانت أول فرس تُعقر في الإسلام، وكان ينشد:

يَـــا حَبَّـــذَا الْجَنَّـــةُ وَاقْتِرَابُهَـــا * طَيِّبَـــةً وَبَـــارِدًا شَـــرَابُهَا

وَالـــروم روم قـــد دنـــا عَـــذَابُهَا * كَـــافِرَةٌ بَعِيـــدَةٌ أَنْسَـــابُهَا

عَلَيَّ إِذْ لَاقَيْتُهَا ضِرَابُهَا

فقُطعت يمينه فأخذ الراية بشماله، فقطعت شماله فاحتضن الراية بعضديه حَتَّى استشهد، فأثابه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في الجنة بجناحين يَطير بهما في الجنة.

استلم الراية عبد الله بن رواحة وحملها بعد استشهاد جعفر بن أبي طالب، ثم أخذ عبد الله بن رواحة بعض التردد، ثم أنشد يقول:

أَقْسَـــمْتُ يـــا نَفْـــسُ لَتَنْزِلِنَّـــهْ * طائِعَـــــةً أَوْ لا لَتُكْرَهِنَّـــــهْ

إِنْ أَجْلَـــبَ النَّـــاسُ وَشَـــدُّوا الرَّنَّـــةْ * مـــا لِـــي أَرَاكِ تَكْـــرَهِينَ الْجَنَّـــةْ

ثُمَّ تقدم فقاتل قتالًا شديدًا حتى قُتل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

بعد ذلك الحدث العظيم، بلغ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السماء خبر ذلك الجيش والأمراء الثلاثة، ثم جمع الناس في المدينة وأمرهم بالصلاة، ثم خطب قال: «**اسْتَلَمَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ اسْتَلَمَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ اسْتَلَمَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللهِ بن رَوَاحَةٍ فَأُصُيبَ**»(١).

تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لما قُتل زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن رواحة، جلس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد يُعرف في وجهه الحزن(٢).

لما سقطت الراية بمقتل عبد الله بن رواحة، التقطها ثابت بن أقرم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم انطلق إلى أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: انظروا في أمركم واصطلحوا فيما بينكم من يحمل الراية.

فقالوا: أنت يا ثابت، فقال: ما أنا بفاعل، ثم اصطلحوا عَلَىٰ خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣).

هنا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ أَخَذَ اللواءَ خَالِد بنُ الوَلِيدِ، ولم يَكنْ مِنَ الأُمراءِ، هو أَمَّرَ نَفْسَه**»، فرفَعَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إصبَعَهُ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ هو سَيفٌ مِن سُيوفِكَ؛ فانصُرْه**»(٤)، بعد ذلك سمي خالد بسيف الله المسلول.

---

(١) صحيح البخاري (٤٢٦٢).

(٢) صحيح البخاري (١٢٩٩)، صحيح مسلم (٩٣٥).

(٣) سيرة ابن هشام (٤/٢٧).

(٤) مسند أحمد (٢٢٥٦٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦/ ١٥٦): "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير خالد بن سمير، وهو ثقة".

أخذ الراية خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فانحاز بالمسلمين وتلطف حَتَّىٰ خلص بالمسلمين من عدوهم، ففتح الله على يديه كما أخبر بذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في المدينة عَلَىٰ منبره عندما نعى أولئك الأمراء واحدًا تلو الآخر وعيناه تذرفان.

انطلق خالد بن الوليد يُقاتل جيش الكفار، وقاتلهم قتال الشجعان الأسود، شجاعة العظماء.

يقول خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لقد تقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إِلَّا صحيفة يمانية"(١).

يقول أبو عامر الأشعري: "ثم انهزم المسلمون أسوأ هزيمة رأيتها قط، حتى لم أرَ اثنين جميعًا، وذلك بعد استشهاد عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ".

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "فأخذ خالد اللواء ثم حمل على القوم، فهزمهم الله أسوأ هزيمة رأيتها قط، حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاءوا"(٢).

يقول ابن كثير: "وكر المسلمون راجعين، ووقى الله شر الكفرة، ولله الحمد والمنة".

هذا الجيش الَّذِي قوامه ثلاثة آلاف مقاتل يقف أمام جيش قوامه مئتي ألف مقاتل، هذا دليلٌ عَلَىٰ نصر أولئك المؤمنين، إِذَا هبت رياح الجنة، فالأمر والموازين تختلف، هكذا الله نصر ذلك الجيش العظيم، وأصبح نِدًا عظيمًا لتلك الدول العظيمة الكافرة.

---

(١) صحيح البخاري (٤٢٦٥).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٣١٥).

حادثة الإفك (١)

ومن القصص التي خلدها التاريخ: تلك القصة التي أدمت قلب النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وضاقت به الدنيا بما رحبت، وكاد ينفلق كبد أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من تلك الحادثة.

خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إحدى غزواته، وكانت معه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد أن أقرع بين زوجاته، عندما انتهت تلك الغزوة، عاد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتوقف للراحة، وفي اَللَّيْل أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالارتحال.

هنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نزلت من الهودج لتقضي حاجتها، فابتعدت عن القافلة، ثم عادت إلى الهودج، فتلمست صدرها فلم تجد القلادة، فعادت مرة أخرى إِلَىٰ مكان قضاء الحاجة تتلمس ذلك العقد، فعندما وجدته عادت إلى الجيش، فإذا الجيش قد انطلق ولم تجد أحدًا أبدًا.

هنا عائشة جلست في ذلك المكان، قالت: لعلهم يفتقدوني فيعودون إلى هذا المكان، أخذها النعاس، فنامت.

في هٰذِه اللحظات يقدم صفوان بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان في آخر الجيش، فرأى ذلك السواد، فاقترب صفوان فرأى عائشة فعرفها، وكان يراها قبل الحجاب، لم يُكلم عائشة أبدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاها احترامًا وتوقيرًا لأم المؤمنين، أخلاق وإيمان، لم يكلمها وإنما قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

هنا أحست عائشة بالصوت فقامت فغطت وجهها، لم يكلمها صفوان أبدًا، إنما أناخ البعير فركبت عائشة، فساق البعير، ولم يتكلم -كما قالت عائشة- معي أبدًا، ولم ينظر إليها، فوصل إلى الجيش في الظهيرة.

في هذه اللحظات وقعت الحادثة، وهلك من هلك في تلك الفتنة، وكان على رأسهم رأس النفاق عبد الله بن أبيّ بن سلول، وللأسف وقع في تلك الفتنة وهلك في تلك الفتنة بعض الصحابة.

هنا تكلم رأس النفاق عبد الله بن أبيّ بن سلول فقال: والله ما سلم منها وما سلمت منه -وَالعِيَاذُ باللهِ-، نعوذ بالله من تلك القلوب المريضة.

عائشة بعد تلك الحادثة مرضت، فجلست في بيتها، تكلم الناس، وهلك من هلك، حَتَّىٰ تكلموا في عِرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفي صفوان بن المعطل.

عائشة كانت تستنكر شيئًا معينًا: تعامل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معها، كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا مرضت عائشة كان يتلطف معها، ولكن في هذه الفترة ولفترة شهر كامل كان إذا دخل عليها يقول: كيف تيك؟ وكيف تيك؟ فقط، لا يزيد عن ذلك.

لا نلوم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه بشر، يسمع كلام الناس في المدينة، انتشر هذا الكلام الفاحش في عرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشر، ولم ينزل عليه الوحي يخبره بذلك، كان يعتصر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقلبه يتقطر ألمًا من هذه الحادثة.

في إحدى الليالي، أتت أم مِسطح وخرجت معها عائشة إِلَىٰ الكنيف، إلى مكان قضاء الحاجة، وفي هٰذِه اللحظات أم مسطح تمشي عثرت بمرطها؛ أي بثوبها، فسقطت، فقالت: تعسًا لمسطح؛ أي ولدها.

هنا عائشة قالت: ما هذا الكلام يا أم مسطح؟ أتقولين هذا الكلام لمسطح وهو ممن شهد بدرًا؟

قالت: يا عائشة، أما سمعتِ ما يتكلم به الناس؟ قالت: وما يتكلم به الناس؟ فذكرت لها الحكاية، فبكت عائشة وازداد مرضها مرضًا، فعلمت لماذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتكلم أو يتعامل معها بهذه المعاملة.

انتظرت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَتَّىٰ قدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاستأذنته بالخروج إِلَىٰ بيت أبيها، فأذن لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حادثة الإفك (٢)

لما خرجت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تريد بيت أبويها، وكان قصدها أن تسأل أبويها عما يتحدث عنه الناس، فلما وصلت إِلَىٰ بيت أبويها سألت أمها، قالت: يا أمي ما يتحدث به الناس؟

فقالت أمها: هوني عليكِ الشأن يا عائشة، لقلّما امرأة وضيئة؛ أي جميلة، يحبها زوجها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها.

فقالت عائشة: سُبْحَانَ اللَّهِ! أوَ تكلم الناس بهذا؟ تستغرب!

وفي الناحية الأخرى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ليستشيرهما في فراق أحب الناس إليه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فسأل أسامة بن زيد فَقَالَ: «**مَا تَقُولُ فِي عَائِشَةَ يَا أُسَامَةَ؟**» قَالَ: وَالَّذِي بعثك بالحق يا رَسُولُ اللَّهِ ما علمت عنها إِلَّا خيرًا.

ثم سأل عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**وَمَا تَقُولُ يَا عَلِيّ؟**» فَقَالَ: إن الله لم يضيق عليك، والنساء غيرها كثير، واسأل الجارية تصدقك؛ يقصد بريرة.

ثُمَّ دعا بريرة وسألها فَقَالَ: «**يَا بَرِيرَة أَتَشُكِّينَ فِي شَيْءٍ أَوْ رَابَكِ شَيْءٌ فِي عَائِشَة؟**» قالت: والذي بعثك بالحق لم يربني منها شيئًا، ولكن شيء واحد: أنها جارية صغيرة السن، إذا عجنت أخذها النوم فأتى الداجن فأكل عجينها، ولكن لا أرى منها إِلَّا كل خير.

هنا خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونادى في الصحابة وركب المنبر فَقَالَ: «**مَن يَعْذِرُنِي مِن رَجُلٍ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَلَمْ أَعْلَمْ مِنْ أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَتَكَلَّمُوا فِي رَجُلٍ لَا أَعْلَمُ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا**».

هنا قام سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أنا أعذرك يا رَسُولُ اللَّهِ، إن كان من الأوس قطعنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا بما تريد ففعلنا بأمرك.

في هذه اللحظات قام سعد بن عبادة سيد الخزرج، وكان رجلًا صالحًا، ولكن أخذته الحمية، فَقَالَ: لعمر الله كذبت! لعمر الله إنك لا تقتله، لن تقتله ولا تقدر على ذلك!

في هذِه اللحظات يقوم أُسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: لعمر الله لنقتلنه، وإنك منافق تدافع عن المنافقين!

فقام الحيان -الأوس والخزرج- وكادت أن تقوم القائمة، هنا نزل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخفض بينهم حَتَّىٰ سكتوا، وسكت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

في هذه اللحظات نزل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يعتصر ألمًا، وفي المقابل عائشة تبكي وتبكي حَتَّىٰ كاد يتفطر كبدها، فباتت ليلة وليلتين على ذلك، فأتت امرأة من الأنصار واستأذنت عائشة فأذنت لها، وكانت عائشة تبكي، فدخلت هذه المرأة فبكت ببكاء عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

في هذا الأثناء يدخل النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بيت أبي بكر ويستأذن ويجلس، ثُمَّ تشهد فقال: «**يا عَائِشَةُ، لَقَدْ عَلِمْتِ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيكِ، إِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَوْفَ يُبَرِّئُكِ اللهُ، وإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيم، فإِنَّ العَبْدَ إِذَا أَلَمَّ بِذَنْبٍ فَاعْتَرَفَ، فَتَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**»[1].

(١) صحيح البخاري: (٢٦٦١)، ومسلم: (٢٧٧٠).

حادثة الإفك (٣)

بعد أن استعذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ بن سلول، وما حصل بين الحيين الأوس والخزرج، ونزول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتخفيض ما حصل بينهما، اتجه إِلَىٰ بيت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليُقابل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ويستوثق من الأمر ويحدد مَاذَا سوف يحدث.

دخل النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجلس، ولم يجلس قبل ذلك مع عائشة من بداية الأحداث، ثم تشهد وَقَالَ: «**يا عَائِشَةُ، لَقَدْ عَلِمْتِ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيكِ، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَوْفَ يُبَرِّئُكِ اللهُ، وإِنْ أَنْتِ أَلْمَمْتِ بذَنْبٍ فَتُوبِي فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيم، إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَلَمَّ بذَنْبٍ ثُمَّ اعْتَرَفَ، وَتَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**».

تقول عائشة: حتى قلص دمعي ولم يبقَ قطرة، خلص ما فيني دمع ولا دم، فنظرت إلى أبي فقلت: يا أبي أجب عني رَسُول اللَّهِ، هنا قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وما أقول لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

ثم التفتت إلى أمها فقالت: يا أمي أجيبي عني رَسُولُ اللَّهِ، قالت أمها: وما أقول لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

هنا قالت عائشة: إني أعلم أنكم قد سمعتم كلام الناس وما يقال فيّ، وقد وقر في أنفسكم أني قد وقعت في ذلك، ولكن أقول: لو أني أخبرتكم أني بريئة والله يعلم أني بريئة لما صدقتموني.

ولو اعترفت على نفسي والله يعلم أني بريئة لصدقتموني، ولكن أقول كما قال أبو يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة يوسف].

ثم تحولت عائشة إِلَىٰ سريرها تبكي، تبكي من القهر ومرارة الجريمة، ونظرة الرسول وأبيها والناس إليها ظلمًا وعدوانًا.

تقول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: والله ما خرج أحد من البيت حتى نزل الوحي على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصبح العرق يتصبب من جبهته كالجمان في يوم شاتي، فعندما سُرّي عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام يضحك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**احْمَدِي اللهَ يَا عَائِشَةُ فقد برَّأكِ اللهُ**».

هنا قالت أمها: يا عائشة، قومي إلى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت عائشة: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هنا نزل قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾ [سورة النور:١١][1].

(١) صحيح البخاري: (٢٦٦١)، ومسلم: (٢٧٧٠).

وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١)

ومن القصص التي خلدها التاريخ: قصة وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ففي السنة الحادية عشرة من الهجرة، في أواخر صفر أو بداية ربيع الأول، دخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان به شيئًا من الصداع، فلما دخل عليها قالت عائشة: وارأساه!

قَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَلْ أَنَا وارَأْسَاهْ واللهِ**»، ثُمَّ قَالَ لعائشة: «**وَمَا يَضُرُّكِ يَا عَائِشَةُ لَوْ أَنَّكِ مِتِّ قَبْلِي، ثُمَّ تَوَلَّيْتُ أَمْرَكِ وَكَفَّنْتُكِ، ثُمَّ وَارَيْتُكِ التُّرَابَ؟**»، هنا قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: والله إني أحسب لو أن هذَا الأمر حدث إنك لأدخلتَ أحد نسائكِ في بيتي وعرَّست عليها في ذلك اليوم، هنا ضحك النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

مرت الأيام وهو يدور بين زوجاته، أيام قليلة جدًا، ثم اشتد عليه الوجع والحمى في بيت ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، هنا جمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوجاته واستأذن منهن أن يُمرّض في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فأذنّ له.

ثُمَّ أتى الفضل بن عباس وعليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فاحتملا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان عن يمينه الفضل بن عباس وعن شماله علي بن أبي طالب، وكانت قدماه تخطان بينهما من شدة الوجع، ثم ذُهب به إلى بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

---

(١) سنن ابن ماجه (١٤٦٥)، ومسند أحمد (٢٥٩٠٨)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٢/ ٢٥): "هذا إسناد رجاله ثقات"، وأصله في البخاري (٥٦٦٦).

وهو في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زاره عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم جلس بجانبه فوضع يده على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوجد شدة الحرارة من فوق اللحاف، فقال ابن مسعود: يا رَسُولُ اللَّهِ، إنك توعك وعكًا شديدًا! قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَعَمْ، إِنِّي أُوعَكُ وَعكَ رَجُلَينِ**»، فَقَالَ ابن مسعود: وَإِنَّكُمْ تُؤْجَرُونَ كَأَجْرِ رَجُلَيْنِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»(١).

اشتد المرض والحمى بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ طلب من أهله أن يأتوا بسبع قرب لم تُحلل وكائهن فيُغسل به، فأتوا بمخضب لحفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوضعوا به، وصبوا عليه تلك القرب حَتَّىٰ قَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انتهوا، فأحس بنشاط.

فخرج إلى المسجد ليصلي ويخطب بالناس، خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راكبًا المنبر، ثم ذكر محاسن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وزيد وابنه أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا.

ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَفِي مَالِهِ وَفِي وَقْتِهِ أَبُو بَكْرٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **ولو كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، ولَكِنْ خُلَّةُ الإِسْلَامِ، كُلَّ خَوْخَةٍ فِي المَسْجِدِ تُقْفَلُ إِلَّا خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ**»(٢)؛ والخوخة: هو الباب الصغير، فأُقفلت جميع الأبواب الصغيرة إِلَّا باب أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٧١).

(٢) صحيح البخاري (٤٦٧)، ومسلم (٢٣٨٢).

ثم قَالَ: «إِنَّ النَّاس يَكْثُرُونَ والأَنْصَارُ يَقِلُّونَ، حَتَّىٰ يُصْبِحُوا فِي النَّاسِ كَالمَلْحِ فِي الماءِ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ شَيْئًا يَضُرُّ بِهِ أَقْوَامًا وَيَنْفَعَ آخَرِينَ، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيِّهِمْ، إِنَّهُمْ قَضُوا مَا عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ»[1].

(١) صحيح البخاري (٣٦٢٨).

وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢)

ازداد الوجع والمرض بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وازدادت تلك الحمى، ولكن كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصًا على الصلاة بالمسلمين.

حتى أتى يوم لم يستطع القيام، بل أُغمي عليه، فلما أفاق قَالَ: «**أَصَلَّىٰ النَاسُ؟**» فقالت عائشة: لا يا رَسُولُ اللَّهِ، فأمر بمخضب وماء، فأُتي به فاغتسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما أراد أن يقوم أُغمي عليه، فلما أفاق قَالَ: «**أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟**» قالوا: لا يا رَسُولُ اللَّهِ، لم يصلِّ الناس، فأمر بمخضب وماء ليغتسل، فأتوا بالمخضب والماء فاغتسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما أراد أن يقوم أُغمي عليه مرة أخرى، ثم أفاق فقال: «**أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟**» قالوا: لا يا رسول الله، هم ينتظرونك، فأمر بمخضب وماء ليغتسل، فأُتي به فاغتسل، فلما أراد أن يقوم أُغمي عليه، ثُمَّ أفاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟**» قالوا: لا يا رسول الله، هم ينتظرونك.

ثم أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلالًا أن يذهب لأبي بكر فيصلي بالناس، اتجه بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَىٰ أبي بكر فقال: إن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرك أن تصلي بالناس، وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا رقيقًا، فقال: صلِّ يا عمر بالناس، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنت أولى بذلك، فتقدم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فصلى بالناس، وصلى تلك الأيام الَّتِي بعدها بالناس يؤمهم في جميع الصلوات[1].

(١) صحيح البخاري (٦٨٧)، وصحيح مسلم (٤١٨).

في أحد الأيام أحس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنشاط، فطلب من العباس وعلي بن أبي طالب أن يأخذاه إلى المسجد، وهم في صلاة الظهر أو العصر، فلما رأى أبو بكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كاد أن يتأخر، فأومأ إليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا تتأخر، ابقَ في مكانك.

فأمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العباس وعلي بن أبي طالب أن يجلساه عند أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأصبح الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي، وأبو بكر يأتم بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والناس يأتمون بأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجوار أبي بكر قاعدًا، وأتم به أبو بكر قائمًا، والناس من ورائهم قيامًا.

أول صلاة صلاها أبو بكر هي صلاة العشاء من يوم الجمعة، وخمس صلوات يوم السبت، ثُمَّ خمس صلوات يوم الأحد، ثُمَّ صلاة الفجر من يوم الإثنين، وَهذَا اليوم الذي توفي فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي مرض موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أوصى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحابة عدة وصايا:

⬅ **الوصية الأُولَى**: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كشف الستار والصحابة قيامًا خلف أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَىٰ لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ، وَأَمَّا فِي السُّجُودُ فَأَكْثِرُوا مِنَ الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ**»[1].

(١) صحيح مسلم (٤٧٩).

⬅ **الوصية الْثَّانِية**: يقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ** سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ»[1].

⬅ **الوصية الْثَّالِثة**: وهي في الصلاة: كان يقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وكان يكررها: «**الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»[2].

(١) صحيح مسلم (٢٨٧٧).

(٢) سنن أبي داود (٥١٥٦)، وابن ماجه (٢٦٩٨)، وصحح إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٢/ ٥٦).

وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣)

بات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة الإثنين دنفًا؛ أي مشرفًا عَلَىٰ الموت، فلما أصبح لصلاة الفجر من يوم الإثنين، كشف النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الستار ورأى أبا بكر يؤم بالناس والناس خلفه صفوفًا.

يقول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رأيت وجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنه ورقة تُصحف من الجمال البارع ونقاء الوجه واستنارته، يقول: حَتَّىٰ كدنا نُفتتن.

هنا أبو بكر كاد أن يتراجع، فأشار إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ابق مكانك، هنا أرخى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الستار، وكانت آخر رؤية للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه وهم يصلون عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، استبشر الناس لما رأوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وابتسامته المشرقة.

بعد صلاة الفجر، خرج عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من عند الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسألوه: كيف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: أصبح بارئًا.

في هذه اللحظات أبو بكر يستأذن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالذهاب إِلَىٰ السُنح للذهاب إلى أهله هناك، فَقَالَ: إن هٰذَا يومهم يا رَسُولُ اللَّهِ، وقد أصبحت بخير، فسمح له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي لأبي بكر بالذهاب، ودخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخرج أبو بكر.

لما خرج أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اضطجع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجر عائشة وهو يتغشاه الكرب الشديد، وقد تضايقت فاطمة من ذلك وقالت: وا كرب أبتاه! فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ عَلَىٰ أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ**»[1].

---

(١) صحيح البخاري (٤٤٦٢).

في هٰذِه اللحظات يدخل عبد الرحمن بن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان في يديه سواك، فنظر إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي إِلَىٰ السواك، فعلمت عائشة أن النبي يريد ذلك السواك، فأخذته وقضمته ونظفته وطيبته ودفعته إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخذه.

تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: استنّ به استنانًا لم أرَ من قبل مثل هٰذَا الاستنان وأحسنه.

تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان أمام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ركوة أو علبة فيها ماء، فأدخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده في تلك العلبة ثُمَّ أخرجها فمسح بها وجهه الشريف ثُمَّ قَالَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**»، ثم نظر إلى السقف فَقَالَ: «**اللهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَىٰ، اللهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَىٰ**»[1].

تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وكان رأسه عَلَىٰ منكبي، فمال رأسه نحو رأسي، ظننت أنه يريد شيئًا من رأسي، فخرج من فمه نطفة باردة سقطت عَلَىٰ نحري، فاقشعر لها بدني، ثم غطيته وسجيته بالثوب، ظننت أنه أُغشي عليه، تقول: ما ظننته أنه قد مات صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تقول عائشة: مات بين سحري ونحري، تقول: مات في بيتي ويومي وبين سحري ونحري، وإن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) صحيح البخاري (٤٤٤٩).

وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤)

توفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة.

في هذَا اليوم يدخل عمر بن الخطاب والمغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَىٰ بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأذنت لهم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

لما دخل عمر فرأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ما أشد غشيان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! لم يصدق موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل قال: ما أشد غشيان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

هنا قال المغيرة بن شعبة: أمات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا عمر؟ فقال عمر: بل أنت رجل تعتريك أو تخالطك الفتنة وتريد أن تركبها!

ثُمَّ خرج عمر من بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والناس ينتظرون في حزن شديد وفي كرب شديد، فسألوا: أمات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال عمر: لم يمت، ولن يموت صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ يُفني الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المنافقين! من قال أن محمدًا قد مات فإني سوف أقطع عنقه!

في هذِه اللحظات يأتي أبو بكر من بعيد بفرسه، آتٍ من السُنح من عند أهله، فلما وصل إلى بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزل من فرسه وعمر لا يزال يُهدد في الناس، دخل أبو بكر إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان مسجى ببردة، فكشف عن وجهه ثم قبله عَلَىٰ جبينه وبكى أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: "ما أطيبك حيًا وميتًا يا رَسُولُ اللَّهِ، والله إن الله لن يجمع عليك موتتين، وأن هذِه الموتة هي التي كتبها الله عليك".

فخرج أبو بكر من عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن غطاه، ولا يزال عمر يُهدد في الناس، والناس ينتظرون في كرب وحزن شديد، أمات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

هنا قال أبو بكر: اقعد يا عمر، فلم يستمع عمر لأبي بكر وأبى أن يقعد، ثم خطب أبو بكر في الناس، واتجه الناس إلى أبي بكر وتركوا عمر، فَقَالَ: "من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت".

ثُمَّ تلا هذِه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٤٤].

هنا علم الناس أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حبيبهم قد مات، وكأنهم لم يستمعوا إلى هذه الآية إلا الآن، فعندما سمع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذِه الآية جثا عَلَىٰ ركبتيه وأيقن أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد مات.

أيقن الصحابة بوفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، وكان في عمر الثلاث والستين.

دفن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عندما توفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بُويع أبو بكر بالخلافة، هنا أقبل أهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ تجهيزه، ولكن اختلفوا: هل يُجرد من ثوبه كما يُجرد الموتى ويُغسل، أم يُغسل في ثوبه؟

وفي أثناء خلافهم نزلت عليهم السَّنة، وهي ما بين النعاس والنوم، حتى وصل ذقن أحدهم إِلَىٰ صدره، فسمعوا صوتًا يقول: غسلوه في ثوبه.

فأسرعوا بتغسيله وهو في ثوبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فغسلوه بماء وسدر، ثم جففوه، ثم أدرجوه في ثلاثة أثواب سحولية؛ أي اسمها سحولية وهي من اليمن، وهذه الأثواب من قطن، هنا انتهوا من تجهيز النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولما كُفِّن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُذن للناس بالدخول عليه والصلاة عليه فرادى، فقاموا يدخلون عليه أرسالًا، فردًا فردًا، كل واحد يُصلي لوحده عَلَىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيدخل من باب فيصلي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويخرج من الباب الآخر.

فلما انتهى الصحابة من الصلاة عَلَىٰ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختلفوا أين يدفنونه؟ هنا تكلم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمعت من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلامًا لم أنسه، يقول: «**مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا فِي المَوْضِعِ الَّذِي يَحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ**»(١)، فادفنوه محل فراشه.

(١) سنن الترمذي (١٠١٨)، وابن ماجه (١٦٢٨)، وقال ابن حجر في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد

هنا عُمل لحد للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي عمله رجل من الأنصار، وهو الذي عمل لحود شهداء بدر، ونزل في اللحد العباس وعليّ بن أبي طالب والفضل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ثم طرح شقان مولى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قطيفة حمراء في قبره، قال: والله لا يلبسها أحد بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلبس هٰذِه القطيفة الحمراء.

توفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الإثنين ودُفن ليلة الأربعاء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بوفاة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتهت حقبة الفترة النبوية ونزول الوحي، وبدأت حقبة الخلافة الَّتِي هي عَلَىٰ منهاج النبوة.

العشرة (٢/ ٥٢٧): "رواه إسحاق مرسلًا، وأحمد بن حنبل بسند متصل ضعيف وبسند معضل، وطريق إسحاق أصح إسنادًا، وهي تعضد المتصل وتشعر أن له أصلًا".

الفهرس

مقدمة المؤلف ١

ظفرت به إنه لا يتمالك ٣

خروج آدم وحواء من الجنة ٥

أول جريمة قتل ٧

سفينة النجاة ١٠

جريمة لم يسبقهم بها أحد ١٣

أصحاب الحجر ١٨

نعم الرب ربك ٢١

من أسرع المناظرات في التاريخ ٢٤

القوي الأمين ٢٦

العودة إلى مصر ٢٩

لا تخف إنك أنت الأعلى ٣٢

فاليوم ننجيك ببدنك ٣٦

قالت هيت لك ٣٩

ألا تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين ٤٣

للبيت رب يحميه ٤٨

حدث غير مجرى التاريخ ٥٣

إسلام حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٥٧

الإسراء والمعراج ٦٠

موقف قريش من حادثة الإسراء والمعراج ٦٦

الهجرة (١) ٦٨

الهجرة (٢) ٧٢

الهجرة (٣) ٧٦

غزوة بدر (١) ٧٩

غزوة بدر (٢) ٨٢

غزوة بدر (٣) ٨٥

فتح مكة (١) ٨٩

فتح مكة (٢) ٩٢

جيش الأمراء (١) ٩٥

جيش الأمراء (٢) ٩٨

حادثة الإفك (١) ١٠٢

حادثة الإفك (٢) ١٠٥

حادثة الإفك (٣) ١٠٧

وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) ١٠٩

وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) ١١٢

وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) ١١٥

وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤) ١١٧

دفن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١١٩

الفهرس ١٢١

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٢٠٠٤١
ردمك: ٥-٧٦٦٤-٠٥-٦٠٣-٩٧٨